[١٥٩]

سنة ١٢٩٨ هجرية

افتتحت سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف هجرية بيوم السبت سادس عشر هاتور سنة ١٥٩٧ قبطية ورابع ديسمبر سنة ١٨٨٠ ميلادية، والناس فى قلق وحيرة من تراكم الإشاعات وتعدد الأراجيف، واختلاف الروايات القائلة بوقوع الخلاف بين الخديو والرئيس، واشتداده بينهما إلى حد يوجب الخلاف.

وفى غرة محرم الحرام حصلت تشريفة بسراى عابدين، لأداء رسوم تبريك السنة الهجرية الجديدة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك فى محله، فهرع موظفو الحكومة ورجالها، لأداء رسوم التبريك وأطلقت المدافع من قلعة الجبل كالمعتاد فى كل عام، ولم يأت أرباب الأشائر، والطرق كعادتهم.

قيل وفى هذا اليوم، أرسل الخديو إلى أبيه إسماعيل بمدينة نابولى رسائل التهانى والتبريك بدخول العام الجديد، قيل فسر من سر من حاشيته والعائشين فى نعمه من المقيمين بمصر المحروسة، وإمتعض من
[١٦٠] امتعض ممن يرغبون فى تمكين عرى النفرة والشقاق بينه وبين أبيه، /وقطع وسائط التزلف والتقرب بينهما، قلت ولم يكن لهذا العيد من الرونق والزينة ما كان لغيره من بقية الأعياد والمواسم، إذ كان فاتر الحركة خاليًا من الأبهة المعتاد إعمالها فى رأس كل عام.

وفى الرابع منه فى نحو الساعة الخامسة من النهار، انعقدت اللجنة الدولية المشكلة من قناصل الدول: التى سبق الإشارة عنها: فى ديوان الحقانية تحت رئاسة الرئيس مصطفى رياض باشا، كما مر بيانه وعند تمام انتظام أعضائها، قام الرئيس وألقى خطابًا باللغة الإفرنسية وهو.

لا يسعنى السكوت عن إعراب ما خامر فؤادى من الارتياح، والانشراح لوجودى بينكم، وأحسب نفسى سعيدًا إذ دعيت لأن أؤيد وأنقح بمرافدتكم ومساعدتكم النظام، الذى فوضت إلىّ أعباؤه منذ خمس سنوات، إذ كنت متقلدًا نظارة الحقانية وقتئذ، ثم إنه لا ينكر أحد ما أتاحه الله من الفوز العظيم، والنجاح العميم، للمجالس المختلطة، مدة وجودها أيضًا نقص هذا العمل، وعدم وصوله حد الكمال، / ولا غرو فى ذلك فإن [١٦١]
النقص من خصائص الإنسان، وهذه حالة كل بلاد آخذة فى التقدم، فإن الممارسة والعمل، وبعبارة أخرى التجربة والاختبار، دلالة على أنه يوجد فى هذا النظام صدوع يجب رأبها، وشعوث يجب لمها، وتعديلات يجب إدخالها، وهذه هى غاية اجتماعنا هذا، وإنى أعرف أهمية وعظم شأن مأموريتنا، وإنى أول من يقر بصعوبة عملنا وكيما[1] أن الحكومة المصرية، هى أول من يهمها هذه المسألة، لم تنكص عن القيام بواجباتها من النظر فى هذه المسألة بالإخلاص، وتقديم صورة لائحة النظامات القانونية، ولم تزل الحكومة متبعة بالاستقصاء والتحرى للوقوف على التعديلات، التى ترى لزوم إدخالها فى القوانين وحالما تنتهى هذه اللائحة الثانية أعرضها عليكم للنظر فيها.

ولا يخفى عليكم أيها السادة ثقل العمل، الذى علينا من الجمع بين المصالح المختلفة، ومع أنه يمكن أن تنجم بعض صعوبات إلا أن عواطفكم التى تجنح إلى العدل وروح السلم. والتوفيق، المتحلين به، وخلوص نيتكم وحسن طويتكم، فى تحقيق رفاهية هذه البلاد وحسن إدارتها: وكثيرًا ما أبديتم أمارات وبراهين على حسن هذه النية، وخلوص الطوية: هى

---

(١) كى ما.

[١٦٢] عندى العربون/ الوثيق للفوز والنجاح، الذى يكلل أعمالنا، ولى أمل كبير بأن النتيجة التى نتحصل عليها تلائم جميع المصالح، ثم إنه يتعين على الثناء على إخلاص مساعدتكم، وعلى ما لابد أن تكتبدوه[٢] من المشاق للوصول إلى حسن ختام لهذه المأمورية وأختم كلامى بالثناء على حضرات القضاة، حيث أن فضلهم ونبلهم ساعدا مساعدة عظيمة على نجاح النظام، الذى دعينا لإتمامه ا.هـ. فلهجت الجرائد العربية بذكر هذا الخطاب وعدته من المعجزات السياسية، التى خص بها الرئيس فى هذا العصر.

وفى صباح يوم الخميس سابعه: قبل الظهر بساعتين، اصطفت الجند فى الرحبة التى أمام سراى عابدين، وأخذت موسيقاتهم تصدح، فركب ذوالفقار باشا التشريفاتى الأول فى العربة المخصوصة للاحتفالات العمومية وتوجه إلى مقر قنصل جنرال دولة الروس، حيث كان ينتظره، وبعد نصف ساعة قدم القنصل راكبًا مع الباشا المشار إليه، حاملاً على يديه نيشان النسر الأبيض، المهدى من قيصر روسيا إلى الخديو، وكان الرئيس وسائر الوزراء متهيئين لاستقباله بالملابس الرسمية، فقدم هذا النيشان للخديو وسلمه بعض محررات من جانب القيصر، فعند ذلك أطلقت المدافع
[١٦٣] من قلعة الجبل إيذانا/ بهذا التسليم وتشكر الخديو للقيصر على هذه الصنيعة حيث قال: إنها دليل على إحكام علائق المحبة والألفة بين دولة الروس والحكومة المصرية، وبعد أداء الرسوم المعتادة توجه القنصل وشيعه ذوالفقار باشا إلى مقره.

وفى عاشره: أصدر الرئيس مصطفى رياض باشا منشورًا إلى الإدارات العمومية وفروعها فى كافة الجهات، يتضمن بيان ما يجب أن يكون عليه المتوظفون من المعرفة بأساليب القراءة والكتابة، قال فيه، حيث أن أهمية

---

(١) صحتها تكبدتموه.

وظائف كافة المستخدمين فى عموم الإدارة وفروعها بالجهات تستدعى أن من يتقلد منهم بأى وظيفة منها، يكون له تمام الإلمام بالقراءة والكتابة، حتى يمكنه بذلك أن يقوم بأداء واجباتها على النمط اللائق وقد علمنا أن بعض الموظفين بتلك الوظائف، لا يحسنون القرآة[1] والكتابة كما ينبغى، بل إن معرفتهم بهما قاصرة، لا تساعدهما على إمكان الانفراد فى تحرير مكاتبات ولا تحيق قضايا بأنفسهم من غير اشتراكهم مع أحد ولا يقدرون على استكشافات من الدفاتر الحسابية فى ما / إذا دعت الحاجة لذلك، وبما أن [١٦٤] وجود من يكون متصفًا بالصفة السالفة الذكر بوظيفة إدارية لا يوافق المصلحة لما ينشأ عنه من عدم حسن الإدارة والارتباك فى القضايا، التى فى دائرة مأموريته، أو تأخير تنفيذ مقتضيات ما يصدر من الأوامر والمنشورات، فيلزم افتقاد واختيار جميع أرباب هذه الوظائف ومن يظهر منهم غير عارف بالقرأة[1] والكتابة كما ينبغى، يحرر كشفًا بأسمائهم ووظائفهم ومقدار ماهية كل منهم، ويقدم لهذا الطرف للنظر فيه. قلت: ولم يكن إصدار هذا المنشور من الرئيس جزافًا أو لغير علة، فقد ذكرنا فيما مضى أن الخديو ما تم القليل من أيام ارتقائه مسند الخديوية، حتى أعطى الوظائف الديوانية لغير أهلها والجلاء لمن لا يستحقه، قيل ولما كان لابد له من إحياء شأن المتزلفين إليه ورفعهم من حضيض الخمول والنسيان إلى ذرى العز والرفاهية، صار يقلدهم الوظائف السامية، والمناصب العالية، فغصت بهم المحاكم والمديريات والمصالح والنظارات، وهم / لا يحسنون [١٦٥] صنعًا، بل لا يعرفون من لغة أهل البلاد إلا ما تعرفه الأطفال من الكليمات المشوبة باللثغة والدغدغة، أو نفخة الشدقين، وتفخيم مخارج الحلق[2] ونجم عن ذلك أن تعطلت الأعمال وأصبحت الإدارات على وشك

---

(١) صحتها القراءة.

(٢) يقصد طريقة الأتراك فى الحديث.

الخلل والانحلال، فكان من الرئيس أن أصدر هذا المنشور، وشدد وتوعد من يخالفه: فلما علم الخديو بخبره، ووقف على خفى سره، تململ واضطرب وراجع الرئيس فى ما فعل، واستعمل الحدة، وشدد فى الطلب فسايره الرئيس ولاينه، وأقسم أنه لا يعمل بما تضمنه هذا المنشور، قيل ولكنه كان يتحين المناسبات فيعزل ويولى، فإذا سأله الخديو، اعتذر وألقى التبعة على مفتشى الإنكليز والفرنسيس، حتى لا يكون للتعذير سبيلاً، ولا للتنديد مجالاً، وأمسى الخديو ثم أصبح، وهو لا يملك من الامتيازات والحقوق الذاتية سوى إعطاء الجلاء، ونياشين الاعتبار لمن يشاء من قومه بلا حرج ولا تقريع، ولكنه لم يلبث على هذا الحال أيضًا إلا قليلاً حتى عاد الرئيس
[١٦٦] إلى البحث والتنقيب وتعقب أعماله، فأصدر قرارًا آخر / يقضى بعدم جواز إعطاء الجلاء أيضًا لسائر رجال الحكومة ومتوظفيها، ما لم يكن بالتماس يتقدم أولا لهيئة مجلس النظار، ثم منها لديوان الخديو الخاص بعد الإقرار على استحقاق الموظف المراد الإحسان عليه، بذلك الجلاء وأهليته، قيل فكان هذا القرار داعيًا لتفاقم الخطوب واشتداد الكروب واستحكام النفرة والخلاف، بين الخديو والرئيس، وكان من الخديو أن أصر على عدم التصديق على هذا القرار وأن لا يلبس نفسه بيده ثوب هذا العار، فلما قدمه إليه الرئيس للتوقيع عليه كما جرت العادة، نفر وأوسع الرئيس ملامًا وعدد إليه غلطاته وسيئاته، وعنفه تعنيفًا كان يظنه كافيًا لردع الرئيس وعدوله عنها، وطنّ عليه نفسه فلم يرتدع ولم يرعو، وترك القرار المذكور فى ديوان الخديو الخاص أيامًا كان يعمل فيها مع مراقبى الإنكليز والفرنسيس على تنفيذه بنصه عنوة واقتدارًا، قيل وانضم إليهما قنصلا الإنكليز والفرنسيس أيضًا، فأمسى الخديو فى حيرة ودهشة عظيمتين، ولكنه عقد
[١٦٧] نيته على عدم التوقيع / على القرار، قيل فاختليا[1] به القنصلان فى ذاك

(١) صحتها فاختلى.

الحين برهة كانت سببًا فى التوقيع عليه كما هو بلا نقص فيه ولا إبرام، قالوا ولو وجد الرئيس فى ذاك الحين ما يسوغ له إلغاء حقوق الخديو فى إعطاء نياشين الاعتبار أيضًا لفعل، وقد كان السواد الأعظم من الناس فى دهشة من أعماله، وشقه عصا الطاعة، ضد الامتيازات القديمة الخاصة بكل فرد من أفراد العائلة المالكة، فأفرغوا الجهد فى الوقوف على دواعى هذا التظاهر، الذى لم يسبق له مثيل منذ عهد محمد على باشا الكبير إلى هذا الحين، فلم ينجحوا حيث كان السر محجوبًا عن عامة الناس، لا يعلمه إلا شخص الرئيس والعاملون معه على إذهاب امتيازات الخديو، وهضم حقوقه الوراثية، قيل وممن كان يزيد الخديو كمدًا وتنغيصًا آل بيته وحاشيته والمتقربون إليه إذ كانوا يتيحون له الانقياد خلف أوامر الرئيس ونواهيه، ويحثونه على التظاهر بالشدة والجفاء، وترك الخمول الداعى لهبوط عرشه، وضعضعة سطوته، ويلقون إليه من أخبار الرئيس وأعماله ألوانا وأشكالا، / رجاء تغلب الحدة على طبعه، وتمكين الوحشة فى قلبه، ويقصون [١٦٨] عليه قصصًا، ويضربون إليه أمثالا ويزينون له سبلاً وأعمالاً حتى تمكنت منه العداوة، وامتلأت حوصلته بالقساوة، ومع هذا كله فقد كان يقال: إنه عندما كانت تلتقى العين بالعين وتتصافح اليدان يفرغ الخديو إلى الرئيس ما فى جرابه مما سمعه ووعاه، ويقول له قال لى فلان كذا وكذا، وحدثنى آخر بكيت وكيت، وأشار علىّ آخر بعمل كذا فلا يكون من الرئيس إلا الاعتذار والملاطفة ثم السعى خلف ذاك القائل، والمحدث حتى يسقيه كأس الهوان، ويزيقه[1] مرارة الانكماش، وفيه أيضًا التأم معتمدو اللجنة الدولية تحت رئاسة الرئيس مصطفى رياض باشا، بهيئة لم يسبق لها مثيل فى هذه الديار، وجرت فيها مذاكرة وجدال طويل، لم نضرب عن اراده[2] هنا

(١) الصحيح يذيقه.
(٢) صحتها إيراده.

لما فيه من الفائدة، وذلك أن الرئيس افتتح الجلسة بأن طلب إلى اللجنة أن تبدى رأيها فى شأن إطالة مدة المحاكم المختلطة وأن تعلن ما تتفق عليه آرائها[1]، فقال البارون دى رنج معتمد الفرنسيس الأول: يجب قبل
[١٦٩] المذاكرة فى هذا الموضوع/ توجيه الالتفات أولاً إلى ترتيب سير أعمال اللجنة، وطلب أن تكون لائحة النظام القضائى التى هيأتها الحكومة المصرية أساسًا للمداولة، وأن تتلى هذه اللائحة على دفعتين بينهما زمن ليتأتى لمعتمدى الدول فى خلاله أن يطلبوا التعليمات اللازمة من دولهم، كما وإنى أطلب أيضًا أن يشكل على الفور عمدة مخصوصة مؤلفة من معتمدى الدول الثانويين ليعد له أعمال اللجنة الدولية.

فقال البارون دى صورما معتمد ألمانيا الأول إنى أصادق على ما قاله البارون دى رنج فى ما يختص بتشكيل اللجنة، فصدق البارون دى شيفر معتمد أوستريا[2] الأول على ذلك أيضًا واستدرك بقوله ولكن يجب التسليم بأن آراء وكلاء الدول فى اللجنة لا تتوقف على قرارات هذه العمدة.

فقال المسيو مالت معتمد الإنكليز الأول، يجب أن تتلى الفقرة الآتية المأخوذة من منشور ناظر الخارجية المصرية المؤرخ ثلاثين من حزيران سنة ١٨٨٠، وهو ما قبلت الدول بمغزاه: أما الفقرة فهى: يجوز للجنة أن تعين
[١٧٠] عمدة تكلف بإعداد ما يلزم عرضه عليها من التحويرات،/ وللجنة أيضًا أن تقرر كيفية تشكيل تلك العمدة واختصاصاتها، قال الرئيس لابد من التمييز بين المسائل السياسية والمسائل القضائية، التى يحال النظر فيها إلى اللجنة، فإن اللائحة التى تعرضها الحكومة تختص بتجديد محاكم أخرى، فمن حقوق الدول النظر فى قبولها أو رفضها، وعلى أى شىء تدور رحى مذكرات العمدة إذا كانت على غير يقين من معارضة الدول، أو عدمها فى

---

(١) الصحيح آراؤها. (٢) النمسا.

تشكيل مجلس أعلى للأحكام أعنى مجلس ثالث درجة، فقال المسيو دى شيفر إذا كانت اللجنة تقبل قاعدة فى إحداث مجلس جديد قبل أن تبحث العمدة فى فوائده ومضاره فما الفائدة إذًا من تشكيل العمدة المتعين عليها إرشاد اللجنة قبل أن تقرر هذه أمرًا، فانحاز البارون دى رنج إلى فكر المسيو دى شيفر، واستأنف ناظر الحقانية إبانة الفرق الذى تكلم عنه الرئيس بقوله: إن أعمال اللجنة تنقسم إلى قسمين سياسى وقضائى، وإن المنشور الذى كلف به وكلاء الدول للالتئام بهيئة لجنة قد رأى ضرورة تحويل جزء من أعمالها، إلى عمدة مخصوصة مشكلة من أولى دراية فى الشريعة، ولكن اللجنة عليها أن تنظر فى المسائل التى ترجح فيها كفة/[١٧١] السياسة على كفة الشريعة.

فقال البارون دى رنج إذا نقبت اللجنة فى لائحة النظام القضائى فلابد من أن تحول دونها مسائل قضائية، وبناء على ذلك فمن الواجب تحويل النظر فيها أولاً إلى عمدة مخصوصة، فقال ناظر الحقانية مستدركًا ولكن إذا أتينا هذا المأتى، بأن عرضنا مجمل اللائحة المذكورة على اللجنة أولاً، ثم أحلناها على العمدة وتوقعنا عرضها ثانية على اللجنة أمتنا من الوقت طويله.

فقال المسيو فاندنست معتمد حكومة البلجيك الأول: إذا طلب من العمدة أن تنظر فى مجمل اللائحة مضى الزمن دون جدوى، فالأصوب أن لا تعرض تلك اللائحة على العمدة إلا مجزأة على التوالى أو متى اعترض دون اللجنة مالا يمكنها من البحث العمومى، فقال البارون دى رنج إن هذا عين ما عنيت به من الابتداء إلى أن أعمال اللجنة لا تأخر[1] مذاكراتها فقال المسيو مالت، ولكن لم ننظر بعد فى الجزء الأول من الملحوظات التى

---

(١) صحتها تؤخر.

ابداها البارون دى رنج، أى أن اللجنة تتخذ لائحة الحكومة موضوعًا
[١٧٢] لمذاكراتها، وانى أفضل شخصيًا أن تقبل تلك/ اللائحة على علاتها لأن
اللجنة مندوبة لتنقيحها.

فقال الرئيس: إن لائحة الحكومة هى فى ذاتها لائحة تنقيحية، ولابد مع النظر فيها من التأمل فى اللائحة الجارى العمل بها الآن # ثم جرت بعد ذلك مفاوضة، اشترك فيها أكثر الحاضرين وكانت باعثًا للمسيو كوكسون والمسيو جاكونى معتمدى إيطاليا والإنكليز الثانيين على أن يبسطا شرحًا طويلًا عن كيفية القومسيونات المختصة بالمحاكم المختلطة، التى كانت انعقدت بمصر المحروسة فى سنة تسع وستين وثمانمائة وألف ميلادية، وفى الآستانة سنة اثنين[١] وثمانية ومائتين وألف هجرية.

وبعد ذلك قال بورللى بك معتمد الحكومة المصرية، إن المسألة الجارى الحديث عنها، قد انجلت بالمباحثة، فوجب على العمدة التى ستشكل أن تنقب فى اللائحة بندًا بندًا وتحورها وتنقحها، ولكن لا يجوز أن تلقى اللائحة برمتها تحت بحثها لتهييء لائحة خلافها، لأن اللجنة تروم أن تسمع عن كل مسألة من المسائل المهمة شرحًا مختصرًا، تبديه الحكومة
[١٧٣] تأييدًا لذلك، وبما أن كل/ فصل من فصول لائحة النظام القضائى الجديد شامل لمسئلة[٢] مستقلة، فيتم مرغوب اللجنة إذا أبدت الحكومة أفكارها بالدخول فى أى بحث كان خاصًا أو عامًا عن كل فصل من تلك اللائحة # عند ذلك لخص الرئيس ما دارت عليه المباحثة، ورغب إلى وكلاء الدول أن يعلنوا آرائهم[٣] فى تشكيل العمدة فقررت اللجنة بأجمعية[٤] الآراء تعيين عمدة مؤلفة من معاونى وكلاء الدول الأربعة عشر تحت رئاسة فخرى باشا ناظر الحقانية.

(١) صحتها اثنتين.
(٢) صحتها لمسألة.
(٣) صحتها آراءهم.
(٤) يقصد بإجماع.

ثم تلا الرئيس العبارة الآتية: إن الحكومة المصرية تبسط على التوالى أمام اللجنة المسائل المهمة من اللائحة، وبعد أن تطلب اللجنة من الحكومة جميع ما تراه لازمًا من الإيضاحات تحول اللجنة إذا مست الحاجة على العمدة قبل أو بعد بحثًا إجماليا كل جزء يعرض عليها من أجزاء اللائحة فى الجلسة الثانية العمومية: وبعد بحث عام فيما يختص بإطالة مدة المحاكم المختلطة ومفعول القانون المصرى تلا الرئيس أيضًا صورة قرار فقبلته اللجنة بالإجماع ومؤداه.

[١٧٤] يمتد زمن المحاكم المختلطة والقانون المصرى إلى أول/ شهر فبراير سنة اثنين وثمانين وثمان ماية[١] وألف ميلادية مع حفظ الخيار للحكومة بأن تضع اللائحة الجديدة والقانون المنقح موضع الإجراء قبل حلول ذاك التاريخ إذا صدقت الدول عليها.

فطلب البارون دى شيفر من أقرانه بعد أن مدح استقامة قضاة المحاكم المختلطة، وحرية أفكارهم، أن يطلبوا من محكمة الاستئناف التى هى أشبه بروح أرباب الشرع فى القطر المصرى، أن تبسط للجنة النقص الموجود فى هيئة المحاكم الحاضرة، فصدق المسيو دى لكس معتمد روسيا الأول، على ما قال زميله وشفع ذلك بقوله إن من الواجب أيضًا استشارة المحاكم الابتدائية، فقال فخرى باشا: إن الحكومة رغبت حصولها على كلما[٢] يعود بالنفع، ولم يفتها ما أبداه المسيو شيفر بخصوص استشارة محكمة الاستئناف، والمحاكم الابتدائية، عن لائحة النظام القضائى الجديد وعن التنقيحات المقتضى إدخالها فى القانون المصرى، ولكن محكمة الاستئناف امتنعت مرتين من إبداء رأيها، فاضطريت[٣] لأن أجلس فى اللجنة الدولية

---

(١) صحتها اثنتين وثمانين وثمانمائة. (٣) صحتها فاضطررت.
(٢) يقصد كل ما.

[١٧٥] دون الحصول / على ذلك، وإنى لآسف من هذا ولكن لا أرى من اللائق أن التمس مرة أخرى ما صار رفضه مرتين.

فقال المسيو دايزه معتمد ألمانيا الثانى: إن محكمة الاستئناف لعلمها أنها مرخصة بأن تبسط لحضرة ناظر الحقانية أفكار أعضائها الخصوصية سرحت[١] بأنه ليس فى وسعها الإجابة على طلبه إلا فى عقد جمعية عمومية، فأجاب فخرى باشا لا يجوز لمحكمة الاستئناف المداولة فى جمعية عمومية إلا فى بعض أحوال مقررة، وليس من هذا القبيل ما نحن بصدده.

المسيو جاكونى معتمد إيطاليا، يرى أنه يسوغ تقديم لائحة النظام القضائى الجديد لمحكمة الاستئناف والمحاكم الابتدائية، فأجاب فخرى باشا قائلًا، أروم معرفة ما إذا كانت اللجنة ترغب أخذ رأى محكمة الاستئناف والمحاكم الابتدائية معًا، أو كل منها على حدة أو رأى كل قاض على انفراد، فقال المسيو جاكونى إنى أرى لزوم تقديم اللائحة الجديدة لمحكمة الاستئناف وللمحاكم الابتدائية فى آن واحد، فسأل البارون دى [١٧٦] رنج من معتمد إيطاليا الثانى / أن يخبره عنها[٢] يلزم تلك المحاكم من الزمن للنظر فى اللائحة، فأجاب المسيو جاكونى إنه يلزم لذلك مدة من خمسة عشر يوم[٣] إلى شهر، فقال المسيو فاندنك: إنه يمكن المحاكم تقديم آرائها لرئيس اللجنة الدولية، وطلب من أقرانه أن يقرروا بأنهم يقبلون ما تبسطه للجنة محكمة الاستئناف والمحكمة الابتدائية وهيئة المحامين من الملحوظات، فقال المسيو إنسلين معتمد هولانده: إنه يشترك فيما أبداه المسيو دى شيفر، ويرى كمعتمد إيطاليا بأن فحص المحاكم لا يتجاوز خمسة عشر يومًا وإنه نظرًا إلى ما قدمته المحاكم المختلطة من الخدامات[٤]

---

(١) صحتها صرحت. (٢) يقصد عن ما. (٣) صحتها يومًا.
(٤) الخدامات تعبير كان يستخدم بلغة العصر ويقصد الخدمات.

لمصر مدة خمس سنوات، فلا يليق عدم الحصول على ملحوظاتها. المسيو دى دومريكس معتمد الدنيمرك الأول يرى كالمسيو شيفر والمسيو دى لكس من أنه يجب على اللجنة أن لا تستشير محكمة الاستئناف، بل المحاكم الابتدائية أيضًا فأعلن فخرى باشا بأنه يبذل ما فى وسعه للحصول على آراء المحاكم المختلطة فقال المسيو بانشلر معتمد أمريكا الثانى[1] إنه لم يرد لمحكمة مصر الابتدائية الذى هو من ضمن قضاتها طلب كهذا من ناظر الحقانية،/ فأجاب فخرى باشا إنى لم أخاطب [١٧٧] المحكمة الابتدائية بهذا الشأن، لأن قضاة هذه المحكمة كانوا يعرضون أنفسهم للوم محكمة الاستئناف كل مرة كانوا يخابرون فيها ناظر الحقانية رأسًا.

قال المسيو بانشلر إنه يمكن للجنة أن تستشير كلًّا من القضاة على حدته، فقال معتمد الحكومة المصرية الثانى إن ذلك يقضى بإماتة زمن طويل، وقال المسيو دى مرتينو معتمد إيطاليا الأول: إنه يلزم أن لا نسرع فى العمل فقط، بل يجب إتقانه أيضًا، فقال المسيو نيتو نجرى معتمد أسبانيا الأول إن طائفة المحامين بالقطر المصرى التى أنا منها تهيىء تقريرًا عن المحاكم القضائية وسيعرض قريبًا على اللجنة طلب المسيو دبرور معتمد البلجيك الثانى من فخرى باشا، أن يخبره عنها[2] إذا كانت الحكومة المصرية طلبت رأى المحاكم عن القانون المصرى والنظام القضائى معًا، أو عن القانون فقط.

فأجاب فخرى باشا إن الطلب كان شاملًا للقانون والنظام معًا. المسيو جونر معتمد النمسا، والمجر الثانى/ يرى أنه من اللزوم الوقوف على آراء [١٧٨] قضاة المحاكم، خصوصًا فقد جرت العادة فى كل بلاد أنه عند الشروع فى

(١) يقصد القائم باعمال دار المعتمد الأمريكى.

(٢) يقصد عما.

إحداث تغيير مهم فى القضاء يؤخذ رأى محاكم الاستئناف، وباقى المحاكم التى يهمها ذلك، فأجاب المسيو فندرن بقوله: إن ذلك مقرر ولكن آراء قضاة المحاكم لا تؤخذ مباشرة، بل بواسطة ناظر الحقانية فقال المسيودى شيفر، ليس الغرض من استشارة محكمة الاستئناف والمحاكم الابتدائية تقديم تقرير بل الإشارة فقط إلى النقص الكائن فى لائحة النظام القضائى النافذ، وقال البارون دى رنج إنه من رأى معتمد أمريكا أن اللجنة الدولية ليس لها الآن علاقة رسمية مع محكمة الاستئناف فلا يجوز لها أن تطلب مشورتها، وأردف قائلاً بما أن محكمة الاستئناف رفضت طلب الحكومة على مرتين: فلا يليق الآن تكليف الحكومة بطلب ذلك مرة ثالثة، ورأينا فى كثير من الأحوال أن محكمة الاستئناف قد حسبت نفسها كحكومة تجاه حكومة مصر، فلا يليق بنا تأييد هذا الروح عندها ولا يليق بمقام الدول أن
[١٧٩] تعتبرها مساوية لها فى الدرجة، / ولكن إذا أبدى قضاة محكمة الاستئناف، أو المحاكم الابتدائية والمحامون، أو أى فرد من الأفراد آرائه[١] للجنة، فنحن نقبلها بشكر وممنونية، فانحاز المسيو اندكربو دكر لرأى المسيو دى شيفر، والمسيو دى لكس، فقال المسيو مالت، إنى لا أرى إمكانا لقبول ما أبداه المسيو دى شيفر بعد المباحثة، التى وقعت ولا أقر عليه إذا صار الاقتراع، بل إذا رامت الحكومة أخذ رأى المحاكم فيمكنها ذلك من بادئ رأيها بدون تكليف اللجنة لها بذلك، فقال فخرى باشا: أرى أنه لا يليق بحكومة أن تتنازل وتلتمس رأى مجالسها، فاسترجع المسيو دى شيفر طلبه بعد المناقشات التى بسطت # وعلى ذلك انقضت الجلسة، وحدد الرئيس يوم انعقاد الجلسة الثانية، وقبل الانصراف وقع المعتمدون ومعاونوهم على ما أقروا عليه وتأجل الجدال # ولكن لم نقف على مفصلات ما كان بعيد

---

(١) صحتها آراءه.

ذلك من أعمال هذه اللجنة، حيث اختفى عنا خبرها بظهور الفتن والخطوب، التى وقعت فى داخلية البلاد، وسيأتى بيانها إن شاء الله تعالى.

[١٨٠] وفى الثالث عشر منه قالت بعض الجرائد العربية: إن الرئيس مصطفى رياض باشا بعث بخطاب إلى أحد أصدقائه بلوندره[١] عاصمة بلاد الإنكليز وأخذت بعض تلك الجرائد فى التشيع له، والتمدح بعباراته وإعداده فى عداد محررات دهاء السياسيين وهو:

صديقى العزيز قد طالعت كتابكم الكريم مع المسرة والشكر، وهو الذى فيه تحدثونى بخصوص السياسة الخارجية العمومية، وتستوضحون أفكارى فيها فأجيب فيما أجبتكم به سابقًا من أن لا يسرنى الدخول فى هذا البحث، وإن أردتم الاطلاع على حقيقة رأيى فأمعنوا النظر فى أعمالى الداخلية فى مصر، فيظهر لكم بادئ بدء إنى لم يكن من نيتى استحصال مقدار شبر من الأرض فى خارج مصر، وعلى ذلك فلا أرى لزومًا مع ضيق الوقت أن أصرف اهتمامى إلى ما هو خارج البلاد وفضلًا عن ذلك فإن حال مركزى لا يساعدنى على هذا الأمر وأظننى لست جديرًا به # إن واجباتى وفروضى فى مصر هى عظيمة مهمة، وإن وفقنى الله تعالى إلى الإصلاحات وتأسيس النظامات الداخلية على قدر الإمكان فى مدة سنتين، أو ثلاث فأكون قد فزت بنعمة لا يعادلها عندى غيرها من النعم، فأرجوكم أن توقنوا بأن كل اجتهادى ومنتهى إربى[٢] إصلاح/ أحوال داخليه [١٨١] مصر # إن السياسة فى المسائل الشرقية والغربية، لم يكن لها تعلق مادى بداعيكم البتة، وأما تعلقها المعنوى، فقد أبنته لكم فى رسالتى السابقة

---

(١) لندن وكانت تنطق وقتذاك بتسميتها الفرنسية Loundres بحكم غلبة الثقافة الفرنسية.

(٢) الإرب بمعنى الحاجة.

مستوفى فلم يبق حاجة إلى التكرار، ولقد بلغت منى المسرة بالتوفيقات الداخلية ما يبلغ منها كل مأمور قارن أعماله النجاح، ولست أنا ممن غلب عليهم حب الفخر والتباهى، ولهذا أنظر إلى كل ما عملت كأنى لم أعمل شيئًا ولكن لا ينبغى أن يحمل قولى المار ذكره على معنى أن ترقيات مصر وإصلاحاتها لا تعلق لها بالخارج: كلا: حتى إنه لو فرض أن فى أحد الأجرام السيارة المنفصلة عن كرة الأرض بالكلية اتفاقات ومعاونات، وأمكن للهيئة البشرية والاجتماعية، أن تعلم لها بمشاركتها دون تردد، ولكن من كان مجتهدًا ومعتنيًا فى ترقية أسباب العمران فى البلاد لزمه أن لا يخرج فى عمله واهتمامه عن هذا الوجه المقصود إلى غيره وكان على أن أورد لكم أمثلة فى ذلك وفقًا لمشربكم إلا أنى وجدت الاقتصار أولى، وبالجملة فإنى مصر على مجانبة البحث فى السياسة العمومية، فبقى لى بكم رجاء واحدًا
[١٨٢] مهم، هو أن لا تتأولوا/ كلامى هذا إلى معنى آخر، وتظنوا أنى أكتمكم ما فى نيتى، وحيث أنكم وصفتمونى فى رسالتكم بأنى من كبار رجال السياسة مع كونى غير أهل لهذا الوصف فإنى أصرح لكم فى جوابى هذا بما استقر فى ضميرى، واستكن فى سريرتى جريًا على عادة أولى السياسة العظام، فآمل أن تتلقوا مقالى بالثقة وشعائرى بالخلوص وحسن القبول ا.هـ.

وفى الخامس والعشرين منه شرع فى الاحتفال بأفراح زواج تفيدة هانم شقيقة حرم الخديو.

وفى ليلة الثامن والعشرين منه دعى إلى سراى الحلمية التى هى مقر العروس جميع العائلة الخديوية، وعائلات مأمورى الحكومة والأعيان والوجوه، وقناصل الدول وكبار الأورباويين، وكانت مع المدعوين من العائلات والدة الخديو وحرمه، وفى الساعة الثالثة بعد الغروب من تلك الليلة قدم الخديو وبقى هناك إلى الساعة الخامسة، وكان فى ساحة السراى

طائفة من المغنيين والمغنيات وأرباب القصف والملاهى وزمرة من العبيد يرقصون على عادة بلادهم.

وفى ليلة الجمعة التاسع والعشرين منه دعى[1] العريس مأمورى/ [١٨٣] الحكومة ووجوه البلد، وأعيانها بمقره الكائن أمام القصر العالى، وبعد ظهر هذا اليوم خرج موكب الزفاف من سراى الحلمية، فأطلق لخروجه المدافع من القلعة فمر بالسروجية، ثم قصبة رضوان والسكرية والغورية والسكة الجديدة والموسكى، ثم مر بين الضبطية القديمة والعتبة الخضراء وبين مكتب البريد وبستان الأزبكية إلى نزل كولنب، ثم اجتاز شارع الأزبكية القديم أمام نزل روايال، ومر بفسقية قنطرة الدكة، وبيت قنصل الإنكليز والنزل الجديد، وشارع عابدين، وميدان السراى، وسار منه إلى شارع قصر النيل مارًّا أمام سراى الإسماعيلية، ومنها إلى القصر العالى فانتهى إلى مقر الزوج، وكان الموكب مؤلفًا من فرقة من الفرسان بالملابس الزرخية، وعلى رؤوسهم خوذات من النحاس كبيرة، عليها الريش الأحمر وأمامهم موسيقاهم، وفرقة أخرى من الفرسان بأيديهم الرماح، عليها أعلام حمر وخضر وعلى رؤسهم[2] طاسات الزرخ عليها الريش الملون، وأمامهم البوق والنفير، ثم فرقة من الجند السودانى المشاة، وأخرى من العرب، ثم ضابطان[3] الجند من رتبة المعاون، إلى/ أميرالاى بالملابس الرسمية وهم [١٨٤] صفان، ثم جاوشية السرايات الخديوية، ثم أحمد باشا مظهر وكيل دائرة الحلمية، ووراه مرجان أغاسراى الحلمية، وعلى يساره سعد الله أغا حرم الخديو، وخلفهم خرشيد أغا كَيخيا سراى الحلمية، وهو لابس عمامة وسراويل وتلك عادة قديمة، قيل إنها من عادات الترك المألوفة، وبعد من

---

(١) صحتها دعا. (٢) صحتها رءوسهم.

(٣) «ان» فى التركية علامة الجمع أى تعنى ضباط.

ذكروا عربة العروس تجرها ستة أفراس سود، وعليها خمسة من قائدى العربات وأمامها على ظهور الخيل قائدان، وكلهم باللباس الأحمر المزركش، وحوالى[1] العربة صفان من الشرطة والسائسون، وخلفهم صفان من الخصيان السود ثم خلف هؤلاء أيضًا ياوران الخديو، ثم كثير من عربات العائلة الخديوية ونساء مأمورى الحكومة، وكانت الشوارع والطرقات غاصة بجماهير المتفرجين، فوصل هذا الموكب إلى مقره قبل الغروب بساعة واحدة فقط.

وفى التاسع والعشرين منه، ذكرت جريدة الوقائع الرسمية عبارة تتعلق بما أجرته الحكومة من الأعمال على وجه الإجمال فى سنة ١٨٨٠ ميلادية
[١٨٥] أعنى فى ثامن عشر محرم/ الحرام سنة ١٢٩٧ سبع وتسعين ومائتين وألف لغاية ثامن وعشرين ذى القعدة من السنة المذكورة، فلم نضرب صفحًا عن إيرادها هنا تتميمًا للفائدة المقصودة من هذا المؤلف، لاسيما وأنها قد كشفت الغطاء عن تلك المكوس والمظالم التى كانت تكابدها أهالى البلاد، من عهد أن تولى إسماعيل باشا الخديوية المصرية إلى هذا الحين وكانت سببًا فى إذهاب الحرص، وتثقيل الأهالى بالديون الباهظة، قالت الجريدة المذكورة: مجمل إجراآت[2] الحكومة الخديوية الحاضرة فى سنة ١٨٨٠ ثمانين وثمانمائة وألف ميلادية، نذكرها تذكرة للغافلين ووداعًا لذلك العام السعيد الذى يحسب بداية تاريخ حياة لمصر، قالت والذى نريد ذكره ههنا هو المجملات ورؤس[3] المسائل فإن التفاصيل قد نشرت فى أوقاتها، فأول أمر وجهت الحكومة نظرها إليه هو رفع المظالم فألغيت فى ذلك العام ضريبة العوائد الشخصية، وضريبة الملح، وأنزلت قيمة الملح إلى قرش واحد فى

---

(١) صحتها وحول.
(٢) صحتها إجراءات.
(٣) صحتها رءوس.

كل أقة، وألغيت المقابلة التى كان جمهور الأهالى يتدجرون[1] من ثقلها. حتى إن/ النواب عند التآمهم[2] فى سنة ١٨٧٩ ميلادية، وإباحة التكلم [١٨٦] منهم فى مصالحهم بما تسمح به ضمائرهم بدون خوف. ألحوا كل الإلحاح على إلغائها غير مطالبين بعوض، لكن الحكومة بعد إلغائها فى سنة ١٨٨٠، طلبت تعويضها على حسب الإمكان، فصدر أمرها بذلك وباشرت العمل فى حصر ما للأهالى من النقود المدفوعة، لتقف على مقاديرها، حتى يمكن التعويض على حسبه، ولم يغضب لإلغائها إلا بعض الممولين، الذين لا يبالون هلك الأهالى أجمعون، أو بقيوا[3] أحياء، وقويت الحكومة أو ضعفت وألغيت عوائد تمغة المشغولات ما عدا المصوغات، وعوائد رخصنامات[4] القبانية، والصيارف على العموم، وعوائد الأرضية التى كانت تؤخذ بدخولية مصر والإسكندرية، وشوارعهما بخلاف عوائد أرضية الموالد والأعياد، وألغيت عوائد مبيع الحيوانات بمصر والإسكندرية والسويس وعوائد الاثنان[5] فى المائة التى كانت تؤخذ على الأملاك، وطعمة القبانية وعوائد قيدية العرضحالات، والضمانات التى كانت تقدم لطلب رخصة التصدير من جهة إلى أخرى،/ وعوائد دلالة، ووزن ومبيع المصوغات [١٨٧] والمجوهرات، وثمن أحد العلمين الذين[6] كانا يحرران عند وزن تلك المبيعات، وعوائد دخوليات الصوف، وعوائد التصديق على الأختام الموقعة على ضمانات تذاكر الخروج لجهة خارج الديار المصرية.. وعوائد السمسرة.. وعوائد مقالى الحمص، وعوائد دخوليات الفخار.. وعوائد السلخانات الزائدة عن عوائد الذبح، التى كانت تؤخذ على إنهاء تأمين

---

(١) الصحيح يتضجرون.
(٢) صحتها التئامهم.
(٣) صحتها بقوا.
(٤) بمعنى منح الرخص.
(٥) صحتها الاثنين.
(٦) الصحيح اللذين.

الجلود وجزء من اثنى عشر من إيجار الأماكن المبنية بالأراضى العشورية والخراجية،.. ورفع اليوم المستقطع من خدمة الصيارف.. وعوائد خفر القطن، التى كانت تؤخذ بمديرية البحيرة، وعوائد تذاكر الشيالين والعربجية والحمارة بالإسكندرية اكتفاء بالويركو، وعوائد سنوية كانت تؤخذ على اقتناء الأغنام والشعارى بمصر، وعوائد ختم دفاتر القبانية بسكندرية[1] وعوائد قيدية العرضحالات التى تتقدم لفتح معاصر الزيوت
[١٨٨] ونحوها، وقفلها، وعوائد مكيال الغلال بمديرية البحيرة والقليوبية،/ وعوائد على جهات الغيطان بدمياط، وعوائد حملة الفخار بدمياط، وعوائد الدخولية والتنظيم والحمل والأوزان بكافة نواحى القرى، وألغيت عوائد الدخولية عن جملة أصناف كثيرة.. قالت.. ولا يخفى ما فى رفع هذه العوائد من الدخل فى رواج التجارة والصناعة وألغيت عوائد العرضحالات التى كانت تقدم بطلب الرخصة بنزح المراحيض ورفعت رسوم مشيخة البلاد، التى كانت من أكبر المظالم عليهم، وعوفى من لا حرفة لهم سوى الزراعة من الويركو، وكان ذلك من مغارم الفلاحين العظيمة فكان الرجل يدفع عن أرضه وعن أبنائه وإخوته.. ورفعت متأخرات الأموال عشورًا وخراجًا لغاية سنة ١٨٧٥ خمس وسبعين وثمانمائة[2] وألف ميلادية ما عداء[3] ديون الأهالى المقسطة عليهم: ورفع عن الأهالى خفر السكة الحديد، والتلغرافات، ومنعت السخرة منعًا باتًا، وشددت الأوامر بإزالتها، ورفعت من الفلاحين أموال الأراضى التالفة،
[١٨٩] وعوائد دفن المواشى الميتة بالحادث، قلت لعمرى الله ما بقى/ فى ذلك الحين إلا أن يؤخذ ضريبة أيضًا على الساعل والعاطس والمتثاب[4] قالت

---

(١) يقصد الإسكندرية.
(٢) الصحيح ثمانمائة.
(٣) الصحيح ما عدا
(٤) صحتها المتثائب.

الجريدة المذكورة، وانتظمت أحوال المالية فأجريت أعمالها على نظامات مستقيمة وقوانين محكمة، وتقررت ميزانيتها على وجه الضبط بدون غش ولا تدليس وأعلنت للكافة على وجه الحقيقة، وصدرت الأوامر بتقسيط الأموال والضرائب تقسيطًا عادلاً يوافق مصلحة الفلاحين، ولا يلجئهم لبيع محصولاتهم وثمرات زراعتهم بالثمن البخس والغبن الفاحش، وأجريت المساواة بين الفلاحين والذوات والأورباويين، وصدرت الأوامر بالحجز على المحصولات الزراعية إن تأخر مالكها عن أداء الأقساط الواجبة عليه بدون تفاوت بين جليل وحقير، قالت فارتفع بذلك عن كواهل الفلاحين والحكومة معًا أثقال[1] هائلة وجعلت التحصيلات على نمط واحد، بأن يكون الدفع جميعها لصيارف البلاد من حقير كان أو عظيم، وصدرت الأوامر بالتحذير من جبر الأهالى على شراء الملح، وألقيت المسئولية على المديرين والمأمورين فى ذلك، وتقرر فى قانون نظارة / المالية [١٩٠] أن يقدم حساب الإيراد والمصرف فى كل ستة شهور، وتكون الحكومة دائمًا قريبة العهد بالوقوف على إيرادها ومصرفها، لتأخذ بالاحتياط فى أعمالها، وصدر الأمر بتشكيل لجنة التصفية لحل المشاكل المالية من تحديد فائدة الدين الموحد، والدين الممتاز وطريقة وفاء الديون السائرة، وبعد أشهر من تشكيلها انحلت تلك المشاكل، وزالت تلك العقبات الهائلة التى كثيرًا ما تبدلت عليها هيئات الحكومة، وهى ثابتة لا تزيد إلا إشكالاً ونزلت فائدة الموحد إلى أربعة فى المائة بعد ستة، وتقررت فائدة الممتاز وغيره من الديون تحت قانون منتظم، وتعينت مواعيد الدفع فى أوقات مناسبة لرواج التحصيلات، وأسست أحكام الاستهلاك على قواعد راسخة، وحددت وظائف وكلاء الدين، وتقرر تعويض المقابلة، وتمت تسوية الديون السائرة،

---

(١) الصحيح، أثقالا.

وردت ديون بيت المال إليه وكذلك ديون الأوقاف وغيرها، وصرفت المعاشات المتأخرة، وأصبحت العلاقات بيننا وبين الدول فى غاية الصفاء، وتمت ثقتهم بحكومتنا واطمئنانهم على ديونهم ورعاياهم، فارتفع
[١٩١] الاضطراب/ الذى كان مستوليًا على الحكومة من أزمان، وبعد ذلك التفت إلى رد ما للحكومة إليها فصدرت الأوامر بإضافة جميع الأملاك والأبنية العظيمة التى صرفت على بنائها من مال الحكومة إلى جانبها، وأخذت فى حصر الأملاك الميرية وتقويمها بقيمتها الحقيقية بعد أن كانت تباع بأبخس الأثمان، وبالجملة استقامت أمور البلاد المالية على أحسن حال، فاطمأنت النفوس ورجع الناس إلى أوطانهم بعد مفارقتها، وارتفعت أسعار العقارات والأطيان إلى أضعاف ما كان فى قيمتها، لشدة الرغبة فى الزراعة والعمارة، بعد أن كان الأهالى يتنازلون عنها بدون مقابل، وارتف أسعار أوراق الديون إلى حد لم يكن يؤمل وينتظر، قالت فكانت وزارة دولتلو رياض باشا رئيس النظارة وناظر المالية والداخلية، أشبه بوزارة كولبير الوزير الأول لليوز الرابع عشر[1] خففت عن البلاد أثقال المغارم، ورفعت عنها كل المظالم مع توفر الإيراد وغنى المالية، كل ذلك فى ظل الحضرة الفخيمة التى بذلت كل مجهودها فى إصلاح أحوال البلاد، وارتفاع شأنها وراحة
[١٩٢] أهاليها، فحق لهذا الجناب الخديوى أن يفتخر بأنه أول أمير البلاد وهى تحت أثقال المشكلات، وفى عام وبضعة أشهر أصبح الإشكال فيها نسْيًا منسيًّا، قالت هذا ما كان فى ترتيب أحوال المالية التى كانت أهم الأحوال عندنا، وفى انتهاء تتميم هذه الإصلاحات المالية، كانت الإصلاحات المهمة فى أحوال الزراعة، وتنمية الثروة، جارية بكل نشاط فتقرر نظام الأعمال

---

(١) جان بابتست كولبير (١٦١٩ - ١٦٨٣) وزير مالية الملك لويس الرابع عشر ملك فرنسا ومن أشهر المصلحين الماليين.

العمومية بآداء الجمعيات الهندسية بغاية الدقة، وانتظم أمر المساواة فى الرأى، وارتفعت سلطة الأغنياء، وذوى الشوكة عن المياه النيلية، فوصلت مياه النيل إلى جميع المزروعات على حد سواء، اللهم إلا لمانع طبيعى وعمر ما كان داشرا[1] من القناطر وأقيم ما كان منهدمًا فى مدة طويلة من الجور، ووضع نظام لتركيب الآلات البخارية على أفواه الترع وارتفع به ظلم الأغنياء للفقراء إذ كانوا يأتون بآلاتهم البخارية، ويركبونها على الترع المشتركة قصدًا لالزام الناس بالرى من مياه تلك الآلات بالأجرة، مع تمكنهم من الرى بدون أجرة وتمت كثير من الأعمال المهمة، التى تعود على البلاد بالغنى والثروة والراحة التامة، قالت: / واعتنت بشئون التعليم [١٩٣] وتعميم انتشار المعارف فشكلت لذلك كومسيونا، ينظر فى حالتها العمومية، وما يلزم لها وبدأ العمل وتنميته، وصدرت الأحكام بأنه لا يجوز للتلامذة أن يدخلوا فى الوظائف والخدامات المختصة بهم، إلا أن تكون بأيديهم شهادات ناطقة بأنهم تموا دروسهم، ورتبت الامتحانات* وأنشئت جملة من المدارس والمكاتب فى المدن والجهات، وأخذت نظارة المعارف فعلاً فى إنشاء مكاتب ومدارس بالقرى والبنادر، وقررت الجمعيات الخيرية التى هى روح البلاد ومبدأ حياتها بعد أن كان لا يمكن التفوه بأسمائها، قالت: وأخذت الحكومة فى إصلاح الأمور الإدارية وصدرت أوامرها برفع سلطة الحكام عن الأهالى إلا فيما يعود عليهم بالمنفعة العامة فقط، وألغت القومسيونات المتعددة لتحقيق ما يصعب تحقيقه فى كل جهة، والتفت إلى المجالس القضائية فصدرت الأوامر بأن لا يزيد مكث القضية بالمجلس عن ثلاثة أشهر، وأكد على أحكام الإدارات بإسعاف المجالس بجميع ما تطلبه من الاستعلامات، وأخذت عليهم المسئولية فى ذلك، قالت واهتمت / بشأن [١٩٤]

(١) مخربا.

* على طريقة جديدة أوجبت زيادة الضبط ورفع الغش والتدليس.

الأوقاف الخيرية، فعمرت ما كان متخربا، وأصلحت منها ما كان مختلاً فرممت المساجد والأضرحة والمعابد وأنشأت ما يتجاوز عقد المائة من العمارات ذات الإيراد الوافر، ورفعت كثيرًا من البدع السيئة، وتوفر عندها ما لم يكن يعهد من النقود بعد أن كانت فى غاية من الاضمحلال وسوء الحال، قالت ونظمت قانون القرعة العسكرية على وجه يرفع الوحشة من قلوب الناس، ويميط الذلة عن نفوسهم، وأخذت فى إحصاء الأهالى على وجه الضبط والدقة، وألفت لذلك جمعية تنظر فى طرقه، وطلب إصلاح المحاكم المختلطة، وتعديل قوانينها، وتنظيم المجالس المحلية وتأسيس قانون يطرد العمل به فى جميعها، يكون كافلاً بجميع المواد الحقوقية مدنية أو تجارية، والمواد الجنائية، وبالجملة كلها[1] يترافع فيه وغير ذلك أمور كثيرة نطيل لو ذكرناها، قالت فكانت أوقات ذلك العام كلها أوقات إصلاح عرف قدرها من عرف، وجهله من جهل وإن لنا أملا عظيمًا فى عامنا الجديد سنة ١١٨٢ أن يأتنا من الإصلاحات الداخلية بمثل ما أتى ذلك وأوفر بعناية الخديوى الجليل ووزرائه الكرام حتى تكون / البلاد [١٩٥] المصرية كما يليق بها ديار راحة ومواطن سعادة ا.هـ.

وفى الثلاثين منه أشاعت بعض الجرائد الأجنبية والجرائد المحلية أنه وقع بين الخديوى والرئيس مصطفى رياض باشا وقنصلى الفرنسيس والإنكليز بعض النزاع والخلاف، قالوا وهو لأمور وأسباب لم تعلم لنا حقائقها قيل: فأدى هذا النزاع إلى تأنيب الرئيس، وتوبيخه وتهديده بالإنسحاب من خطة الرئاسة وإغرامه[2] بملازمة داره، فاضطرب من هذه الإشاعة أعوان الرئيس وحاشيته والعاملون على تعزيز جانبه، أصحاب بعض الجرائد العربية تنادى بمحسناته وتعدد مناقبه، ومواقفه، وتستنهض

---

(١) كل ما.

(٢) الصحيح إرغامه.

همم الأهالى إلى التعلق بأذياله، ولم تقنع بذلك بل كانت تملأ أعمدتها بالتقريع والتنديد على أعمال من سبقه فى تولى الرئاسة، وتقبح مسالكهم تقبيحًا لم نسمعها فاهت به قط يوم كانوا قابضين فيه على زمام هذه الخطة، وما زالت تبدى وتعيد وتطنب ثم تستعيد أيامًا حتى قدر الله بإخماد هذه الفتنة، وأمست نسيًا منسيًا إلى أجل / مسمى سيأتى ذكره فى محله إن شاء [١٩٦] الله تعالى.

وفى الثالث من صفر الخير فى نحو الساعة الرابعة صباحًا، اصطفت الجند بالساحة التى أمام سراى عابدين، وهم يعزفون بآلات الطرب، وهرع مأمورو الحكومة وسائر النظار بملابسهم الرسمية إلى السراى، ولم يلبثوا إلا هنيهة حتى أقبل قنصل جنرال الإفرنسيين فى عربة من عربات الاصطبل الخاص، وعلى يساره ذو الفقار باشا التشريفاتى الأول وخلفهم بعض الفرسان، فعزفت الموسيقى بلحن التحية الفرنساوى، ونزل القنصل وعلى يديه نيشان مهدى من حكومة جمهورية الفرنسيس إلى الخديو، وهو النيشان المعروف بغران كوردون، فقدمه للخديو وهو بين نظاره ورجال حكومته، وهيئة ديوانه الخاص، وألقى عبارة تفيد ميل حكومة جمهورية الفرنسيس إلى توطيد علائق المودة والإخلاص بينها وبين الحكومة المصرية، وحسن أميال[1] رئيس الجمهورية نحو شخص الخديو، أجابه الخديو بمثل عبارته، وفى الحال أطلقت المدافع من قلعة الجبل جريًا على العادة المألوفة، وانصرف / القنصل من حيث أتى. [١٩٧]

أقول: قد ذكرنا فيما سبق بيانه من الحوادث أنه لما أن أحكم الرئيس مصطفى رياض باشا رباط المودة بينه وبين مراقبى الإنكليز والفرنسيس، وجذب إليه قلوب بعض قناصل الدول الأخرى، قالوا: إنه صار لا يعبأ

---

(١) صحتها ميل.

إلا بذاته، ولا يحفل إلا بصفاته، وأنه لم يقرب إليه إلاحاشية السوء والمملقين[1] الذين دأبهم الوسوسة، وكشف عورات الناس عقب الذلات[2] قالوا فلما ثبتت قدماه فى موقف الرئاسة، واستتب له الأمر وقبض على زمام البلاد وأهلها، واختص له أعوانًا من مكاتبى الجرائد الأجنبية، ومحررى الجرائد المحلية، يجاهدون فى سبيل إعزازه وإعلاء مناره، وإحياء مشكاته بين مصابيح أهل السياسة وهاته الدول بنياشين الاعتبار، وخاطبته الحكام بألقاب التعظيم، وهابه موظفو الحكومة حرصًا على مراكزهم، وذلت له وجوه البلاد حذرًا من بطشه، ورهبة من جبروته وأصبحت داره محطًّا للرجال يدخلها ذو الحاجة خاشعًا مكتوف اليدين
[١٩٨] سابل العينين، مزلزل القدمين لا يفوه ببنت شفه إلا إذا أوذن[3] له وإذا فاه لا يسمع منه إلا الإطناب، والتمدح بمآثر الرئيس وتعدد مناقبه وأعماله الداعية لخير البلاد، ورفاهية أهلها، ورخاء عيشهم، زاد به الكلف والحرص على خطة الرئاسة، وداخله من الوسوسة وسوء الظن بعباد الله ما أجهده وأتعب بدنه، وظل حائرًا لا يهتدى إلى خل من أبناء جلدته يصافيه، أويخفف عنه عبء هذا الحال، فكان أبدا يحذر فرية ممن كانوا قبله فى هذا المسند الرفيع، بل ويعمل على نكايتهم، وتذليلهم فضلاً عن الوقيعة فيهم أمام الخديو، وتحذير الخديو من تقربهم إليه أو تزلفه لهم على أى حال كان، قالوا ولأجل أن يكون على هدى من منصبه، أرخى عنان الاتكال على مراقب الإنكليز والفرنسيس، وزادهم من النفوذ والتداخل فى أمور البلاد الداخلية والخارجية ما بلغ بهم حد العطاء والمنع وتوليته[4] لوظائف الديوانية لأبناء جلدتهم، ومعاقبة مأمورى الحكومة ومديرى الأقاليم، ولم
[١٩٩] يقفوا عند هذا الحد من المداخلة بل تطاولت أيديهم أيضًا إلى أعمال ديوان

---

(١) صحتها المتملقين.
(٢) صحتها الزلات.
(٣) صحتها أذن.
(٤) صحتها وتوليتهم.

الخديو الخاص وعم هذا الحال جميع المصالح والدوائر الديوانية فى أنحاء القطر فداخل بقية قناصل الدول الأخرى بأسباب ذلك من الغيرة، ما حملهم على مبارات[1] هؤلاء العاملين، والنهج فى مناهجهم، وتعقب أعمالهم، فكان إذا أدخل قنصل الإنكليز مثلاً واحدًا من تبعته فى خطة من الخطط الديوانية، بادر قنصل الفرنسيس ونحت لآخر من تبعته خطة أخرى تقابل خطة الإنكليزى، أو أعظم منها، وعمل على إدخاله فيها بكل ما تصل إليه طاقته فيندفع قنصل إيطاليا إلى النسج على منواله، ويلحقه قنصل ألمانيا ويتبعها قنصل النمسا، ويزاحمهم قنصل اسبانيا، ويستنجد بهم مع قنصل اليونان وهكذا حتى أصبحت المصالح والدوائر الديوانية ميدان منافسة، ومباراة يتسابق فيها هؤلاء القوم، وهم مغضبون يدمدم بعضهم على بعض، ويتربصون[2] بعضهم فرص الغلبة، ودواعى الخذلان، ويعملون على [٢٠٠] نكاية بعضهم البعض ونجم عن ذلك أن غصت المصالح الديوانية بكثير من الأجانب، وضاقت بأهل البلاد حرفتهم الكتابية، وكادت تتلاشى صناعتهم تلاشيا ليس بعده إلا التضور والإملاق، وأخذت لغة البلاد فى القهقرة والانحطاط، إذ تغلبت اللغة الإفرنسية على كافة أعمال المصالح، والدوائر حتى الحسابات وقواعدها، وأصبحت فى أشكال وأوضاع غريبة، وقد تنبه الرئيس من رقدة هذا الاتكال، وأنعم نظره فيما فعلت يداه وعلم أنه بات على شفا جرف هاو وأنه لا يلبث أن تتجاذبه تلك الأهواء المتفرقة، والأغراض المتباينة وتذهب بنفوذه فيكون كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مار أنفه بكفه.

قيل: فعزم على استدراك ما فات، وتلافى ما وقع، واستعمل من الدهاء ما كان يظنه معينًا له على رد جماح أولئك المتسابقين، فكان يسعى فى زرع

---

(١) صحتها مباراة.

(٢) الصحيح ويتربص.

الوحشة والبغضاء بين المراقبين، وقنصلى الفرنسيس والإنكليز ويعمل على فساد وحدة كلمة المراقبين بكلها[1] تصل إليه طاقته من صنوف المخاتلة
[٢٠١] والمداهنة، ويفتح / لهما باب المشاحنة والمنازعة مع قنصليتهما رجاء التخلص مما تورط فيه، قيل فأثر عمله هذا تأثيرًا رديًّا فى الصلات الكائنة بين القنصلين والمراقبين، وكادت على الخصوص تذهب بالصلة التى بين مراقب الفرنسيين وقنصلها بل أذهبت بعضها وأقامت مكانه الوحشة، فتعقب أحدهما زلات الآخر تشاحنًا على الدرة والبرة[2].

وبينما كان الرئيس والمراقبان وقناصل الدول يتنازعون ويعمل كل منهم على تثبيت قدماه فى موقف النزاع، وإحباط عمل الآخر كان أيضًا بعض موظفى الملكية، وضباط الجند من أهل البلاد وحاشية الخديو إسماعيل والكثير من بطانته يتجمعون جماعات ويبثون العيون والجواسيس تنقل لهم من أخبار الرئيس المضحك والمبكى، وتقص عليهم من حوادث المصالح والدوائر الديوانية، وازدحامها بأقدام المتواردين من الأجانب، ودخولهم فى خططها، وهضم حقوق أهل البلاد، وكساد حرفتهم وبوار صناعتهم قصصًا يث كانت سببا لنمو عصابتهم وتشعب شعوبها.

[٢٠٢] قيل: فكانوا يأتون بالقصة، أو الحادثة عن آخرها / ثم يبحثون وينقبون فيما يجدونه منها خاص[3] بأصحاب الوظائف الديوانية وأهل البلاد يبقونه لوقته، وما يجدونه متعلقًا بالجند والضباط يجمعونه ويتشاورون فيه، ثم يحلفون الأيمان على كتمانه إلى سنوح الفرصة، وما زالوا على هذا الحال مدة، وهم فى تكاثر ونمو، والرئيس فى شاغل عنهم بما تورط فيه مع المراقبين والقنصلين، حتى استفحل أمرهم وزاد تحالفهم ثباتًا ومكانة،

---

(١) يقصد بكل ما.
(٢) على الصغيرة والكبيرة.
(٣) صحتها خاصًا.

ورأسوا عليهم أحد أمراء الآيات الجند وهو أحمد عرابى بك* أمير جند أربعة بيادة، صاحب الحوادث المدهمة التى سيأتى بيانها بالتفصيل فى محلها إن شاءالله تعالى.

وقد جرت عادة الكتاب والمؤرخين، أو المتهافتن من أمثالى على جمع شوارد الحوادث بأنهم لا يبخلون بذكر تراجم عظماء الوقت ومشاهير رجاله وأصحاب المظاهر فيه، وكل من له يدفى حوادثه ووقائعه الداخلية والخارجية، تتميمًا للفائدة الموضوع من أجلها التاريخ فرأيت أن لا حرج علىّ فيما لو عاينت شرح ترجمة أحمد عرابى هذا، جريًا على عادة الكتاب أو المتهافتين، ليكون القارئ على علم بأمره من أصل نشأته ولكى لا يكون/ ذكر أخباره أبتر أو قليل الفائدة المقصودة من التاريخ فأقول: [٢٠٣]

ترك المؤلف فراغًا كان يبدو أنه ينوى أن يخصصه للترجمة لشخصية أحمد عرابى ولم يفعل

وفى[١] من صفر الخير اجتمعت تلك الفئة المتحالفة وتشاوروا على النهج [٢٠٤] الذى سيتخدونه سببًا للتظاهر، وشق عصا الطاعة، وبعد أن تبادلت الأفكار فيما بينهم، ودار دولاب التأمل على محور التثقيب أجمعت أفكارهم على أن يرفع رئيسهم أحمد عرابى بك إلى الرئيس مصطفى رياض باشا عرضًا يقول فيه:

مبدأ الحوادث المدهمة

(١) فراغ يبدو أن المؤلف قد تركه إلى حين التحقق من التاريخ ولكنه لم يفعل.

يقدم هذا الأعتاب دولتكم بغاية كل خضوع ضابطان الجهادية وما تعرض عنه أفندم.

إنه لما أشرقت بحمد الله أنوار شمس الحضرة التوفيقية، وانبعثت بالعدل فى أرجاء ديارنا المصرية نشر العدل أولويته على دوائر أطلالنا، وتحررت رقاب المصريين من رق العبودية، كما تخلصت نفوسهم من ضيق الاستبداد الذى طالما استولى على بلادنا عدة أجيال، يعاملنا بأنواع المظالم الغدرية، فحمدناه تعالى على ذلك وسألناه التوفيق لتشييد دعائم أركان العدل والإنصاف محفوفة برياضة الحرية المبنية على المساواة فى الحقوق بين الرعية، لكن لما أحيل على سعادة عثمان باشا رفقى نظارة الجهادية، رأينا سعادته يعامل ضابطان[1] العسكرية بالذل والاحتقار، ويسعى فيما يوجب لنا الحرمان/ والإضرار كأننا الأعداء الألداء، وكأن الله سبحانه وتعالى [٢٠٥] يطلب من سعادته ظلم المصريين والإجحاف بحقوقهم، مقتفيًا فى ذلك آثار راتب باشا فى أواخر العهد السابق من تهييج الأفكار، وإثارة الفتن التى تكون سببًا فى توقيف حركة الإصلاح الإدارى قصد أن يتمكن مما ساقته إليه نفس سعادته، وما زلنا صابرين على مضض البلايا حتى آل الأمر لحرمان أغلبنا من خدمة وطننا مع استعدادنا وتأهلنا، وعدم تأخرنا عمن ترقوا فى الخدمة بوجه امتياز على ما بهم من العلل، ولا موجب لترقيهم سوى كونهم أقارب ومحاسيب من لهم فى العسكرية النفوذ المطلق، وبرهاننا على ذلك أنه موجود بديوان الجهادية فوق الألف ضابط بقلم المستودعين، لم يكن فيهم أحد من غير الوطنيين، ومن بعد أن تبين لسعادته تسكين الخواطر واستقامة الأحوال كبر ذلك عليه، وقصد تهييج الأفكار بإصدار

---

(١) ضباط الجيش.

أمره المبنى على الاستبداد والاستعباد، برفت أحد قامقامى[1] السوارى المسمى أحمد عبد الغفار بك/ بصورة تهكم بغير محاكمة قانونية، وعلى ضد [٢٠٦] كل قانون عادل فبذلك هيج بلبالنا، وأورثنا عدم الأمن والاطمئنان، وصرنا متوقعين الإيقاع بنا واحدًا بعد واحد ما دام سعادة المشار إليه فى مسند نظارة الجهادية، فالتزمنا بعرض هذا التقرير لعدالة دولتكم بغاية كل تواضع وسكون، نرجو رفع سعادة المشار إليه من مسند نظارة الجهادية الذى لا تسمح القوانين الحرة بتوجيه هذا المسند لمثل سعادته، ومما يؤيد تلك القوانين مسألتا كنج شاهين، وحافظ باشا، وبعد ذلك ينظر فى أوجه أفضلية من امتازهم عنا بالخدمة مع عدم مساواتهم معنا فى العلوم والآداب العسكرية وغيرها، ومآثر دولتكم فى تسكين حركة الخواطر، وبث روح العدل والمساواة اتباعًا لمبدأ الحضرة الخديوية توجب علينا القيام بواجبات الشكر الحقيقى والأمر لمن له الأمر.

فلما وقف الرئيس على سرهم الخفى، اضطرب اضطرابًا شديدًا، وداخله من الوسوسة والخوف ما أربكه وجعله فى شاغل عن مناوأة مراقب الفرنسيس وقنصلها،/ فقام ودخل على الخديو وحدثه بخبر تلك العصابة، [٢٠٧] وقص عليه بعض حوادثها التى كانت تأتى له بها عيونه وجواسيسه، وأطلعه على التقرير الذى رفع إليه من رئيسها أحمد عرابى بك، قيل وبالغ الخديو فى الضرر الذى يحدق بعرش الخديوية فيما لو استتب أمر هاته العصابة واستفحل عملها، وزين له مؤاخذتها بالعنت والتضييق والإرهاب، حتى لا يتطاير شررها إلى داخلية البلاد فتشق أهلها عصى[2] الطاعة، قيل فوافقه الخديو وأشار إليه بسرعة العمل والأخذ بالأحواط، فقام

---

(١) صحتها قائمقامى جمع قائمقام، وهى رتبة تركية تعادل رتبة العقيد الحالية.
(٢) الصحيح عصا.

لساعته، وجمع الوزراء وأخذوا يتشاورون فيما يجب اتخاذه لإحباط عمل هاته العصابة واستئصال شأفة مؤسسيها، والعاملين على تأييدها، فقر رأيهم على لزوم بث العيون والجواسيس تسعى خلف أفراد تلك العصابة، وزعماؤها[1] وتعمل على معرفة أسماء ومراتب العاملين فيها ومحال اجتماعهم، لتكون على علم بأسباب نشأتها، وسر خروجها، وحقيقة نواياها وما عندها من معدات العصيان، فسعى المتجسسون يضربون فى مشرق مصر المحروسة ومغربها، وهم يختلسون النظر ويسترقون[2] السمع
[٢٠٨] ويأتون بيوت الضباط وبعض الجند وكل من توسموا فى وجهه أنه منكر على أعمال الرئيس من حيث لم يأمرهم الله، وأدى بهم التألق فى هذه المهنة الخسيسة إلى تعقب المارين[3] وأبناء السبيل، وكل من صادفوه، يتحدث ولو فى هموم المعيشة ومصائب العيال، كل ذلك والعصابة تتزايد ثباتًا وتمكينًا وظهورًا يؤدى إلى شق عصا الطاعة حتى استفحل أمرهم، وانضم إليهم كثير من أمراء الجند، وسرى هذا الداء فى كل فرد من أفراد الجند الذى تحت إمرتهم، ونظر الرئيس فلم ير إلا مناوأتهم فى السير حتى يتم تدبيره ويحكم عمله، ويقضى حاجته فى نفسه سيأتى بيانها إن شاء الله.

وفى الثامن عشر منه انعقد مجلس النظار وقرر بعد النظر فى قوانين العمليات العمومية أى السخرة والعونة أن كل من لا يخرج فى تلك العمليات، ويطلب معافاته منها، فإن كان من أهالى الوجه القبلى دفع لخزينة المديرية مقابلة ذلك مبلغًا قدره ثمانون قرشًا، وإن كان من أهالى الوجه البحرى يدفع مائة وعشرين قرشًا، وعمل بذلك قانونا عموميا[4] وبعثت به لكافة المديريات.

---

(١) الصحيح زعمائها.
(٢) الصحيح ويسترقون.
(٣) ويقصد المارين.
(٤) الصحيح قانون «عمومى».

وفى يوم الاثنين غرة ربيع الأول، قام المحمل من المقام/ المعد لنزوله [٢٠٩] بالعباسية من ضواحى مصر القاهرة، متوجهًا إلى داخل المدينة فى موكب حافل، يتقدمه الجند مشاة وركبانًا، وفرقة من الضباط وخلفهم مشايخ الطرق وأرباب الأشاير وأرباب الحرف وغيرهم بطبولهم وزمورهم.

وفى أول الساعة الخامسة توجه الخديو فى عربة الزينة، تجرها أربعة أفراس وحوله حرسه الخاص. وبعض الفرسان وبأيديهم المزاريق إلى المحل المعروف بالمصطبة من الميدان الكائن تحت قلعة الجبل، حيث ينتهى سير المحمل، فوصل إليه بعد هنيهة، وكان معه الأمير محمود بك أخوه لأبيه، والرئيس مصطفى رياض باشا، وطلعت باشا، كاتب ديوانه الخاص وكان بقية الوزراء، والكثير من العلماء المعممين وأصحاب العكاكيز واقفين هناك لاستقبالهم، وبوصوله أطلقت المدافع من قلعة الجبل إيذانًا بذلك وفى أول الساعة السادسة، وصل المحمل فاستلم الخديو زمام الجمل من أمير الحج، وسلمه إلى القائد حسب العادة وعند ذلك أطلقت المدافع ثانية، وبعد هنيهة ركب الخديو ومن معه وسار راجعًا إلى مقره بالإسماعيلية.

قد ذكرنا فيما تقدم أن الرئيس مصطفى رياض باشا نظر فلم ير إلا/ [٢١٠] مناوأة عصابة الجند، ومعاكسة زعمائها خفية، حتى يتم تدبيره ويحكم عمله ويقضى ما فى نفسه حيث استفحل عملها، واستتب أمرها وانضم إليها كثير من الضباط والجند.

ففى صباح الثلاثاء ثالث ربيع الأول عقد مجلسًا فوق المعتاد، وكان به الفريق عثمان رفقى باشا ناظر ديوان الجهادية، ودار الحديث بينهم فى أمر تلك العصابة، وفيما يصنعونه بزعمائها والعاملين معهم، فقر رأيهم: كما شاع وقتئذ: على تشكيل مجلس من الضباط الشراكس فى هذا اليوم للنظر فيما وقع من زعماء تلك العصابة ومحاكمتهم بمقتضى قانون الجند، وأن تشكل

لجنة أخرى أيضا من أرباب الوظائف الملكية فى ديوان الداخلية للنظر فى عقوبة كل فرد من أفراد الملكيين الذين دخلوا فى سلك تلك العصابة، واستئصال شأفتهم دفعة واحدة.. فبناء على ما تقرر قام الفريق عثمان رفقى باشا، وتوجه إلى مقر ديوانه بقصر النيل، وجمع إليه أعضاء مجلسه
[٢١١] الحربى، وكلهم من الشراكسة/ قائدى الجند وتداولوا فى الأمر مليًّا، ولا أخالهم كذلك، إذ لم يلبثوا سوى هنيهة حتى أبرزوا حكمًا بتجريد زعماء تلك العصابة الجنديين من وظائفهم العسكرية، وتبعيدهم عن مواطنهم تبعيدًا لا تعقبه عودة وتوظيف بدلهم من الضباط الشراكسة، وفى الحال حررت ثلاثة أوامر إلى ثلاثة من أمراء الجند، وهم على بك فهمى المشهور بالديب أمير جند الحرس الخديو وأحمد عرابى بك أمير جند العباسية ورئيس العصابة، وعبد العال بك حلمى المعروف بأبى حشيش أمير الجند السودانى المعسكر بطرة من ضواحى مصر القاهرة، فحضروا إلى قصر النيل وهم بين الحرس والمراقبين ثم طلبوا أمام هيئة المجلس، فدخلوا وخلفهم بعض الضباط الشراكسة وأيديهم قابضة على آلات نارية كانوا يسترونها فى سراويلهم حذرًا مما كانوا يتوقعونه من الأمراء الثلاثة المذكورين، فلما صاروا على مقربة من رجال المجلس برز أحدهم وهو خسرو باشا، وقال لهم قد حكم عليكم اليوم بالتجريد من الوظائف
[٢١٢] العسكرية، ومحو أسماكم[1] من دفاتر الجند فبادروا حالا بخلع سيوفكم أمام رجال المجلس، وإياكم والمخالفة التى يعقبها الندامة حيث لا ينفعكم الندم.

فأجاب أحد الثلاثة، وهو أحمد عرابى بك قائلًا:

لا بأس أيها الأمير. ولكن أليس لنا أن نطلب الاطلاع على صورة

---

(١) الصحيح أسمائكم

الحكم لنكون على علم بما فرط منا؟ وهل هو مطابق للأحكام والقوانين العسكرية أو لا؟ قيل فقاطع عليه أحد أعضاء المجلس، وقال ليس لكم قط إن ترون[1] ما تضمنه الحكم من الدعوى ولا قرار المجلس، كما أن ليس لكم أن تبدوا أدنى مقاومة، أو محاجة، أمام هيئة المجلس، ثم أشار لأحد الضباط الواقفين بأن أخلع عنهم سيوفهم، وخذهم إلى حيث أمرناكم، فلما شاهدوا ما سيحل بهم بادروا بخلع سيوفهم، وتسليمها لأولئك الواقفين، وهم صاغرون حاسرون فأخذوا حينئذ، وسجن كلا[2] منهم فى سجن منفرد، تحفره الجند والضباط بآلاتهم الحربية، وكان ذلك فى نحو الساعة العاشرة.

فلما وصل خبر سجنهم إلى معسكر الحرس الخديو برحبة عابدين، هاجت الجند وماجت، ونادى أحد ضباطهم المسمى محمد عبيد الحائز لرتبة البيكباشي على الجند، بأن أحملوا سلاحكم وأعدوا معداتكم لنجدة أميركم، وخلاصه، / فحملت الجند بنادقها وجبخاناتها[3] وساروا بسرعة ما عليهامن [٢١٣] مزيد نحو قصر النيل، فمانعهم بعض الجند المعسكرين هناك فلم يلتفتوا إليهم، بل فتحوا الأبواب عنوة ودخلوا وهم يضجون، وبادروا كل من رأوه[4] بالضرب بالسب وتمزيق الألبسة، ودخلوا مقر أفلاطون باشا العامل يومئذ على وكالة ديوان الجند، وأذاقوه أليم الضرب والسب وداروا يفتشون على الفريق عثمان رفقى باشا قصد البطش به، كما أشار عليهم محمد عبيد المار ذكره، فلم يجدوه وكأنه غمس به فى الماء، أو عرج إلى عنان السماء، قلت: وقد حدثنى من أعتمد عليه، قال: لما علم الفريق عثمان باشا بدخول الجند قصر النيل، وسمع ما هم عليه من الدمدمة والهرج،

---

(١) صحتها تروا.
(٢) الصحيح كل.
(٣) تعنى ذخيرتها.
(٤) صحتها رأوهم.

خرج لساعته من ديوانه، وأسرع فى مشيته، حتى دخل ورشة الترزية فقام إليه ناظرها، المدعو ألماس بك، وأخذ بيده، وأدخله مخزن هناك. وسرّه ببعض أكياس الملابس كى لا يراه أحد من الجند، قال وبقى هناك حتى عادت الجند إلى مقرها برحبة عابدين ا.هـ.

ولما لم يجدوه، اشتد بهم الغضب فصاروا يكسرون الأبواب، ويضربون
[٢١٤] كل من يروه كتاب الديوان، ثم/ هجموا على المحال التى بها الأمراء الثلاثة، فكسروا أبوابها، وهتكوا حجابها، وأخرجوا الأمراء مكشوفى الرؤس[١] حفاة الأرجل، وحملوهم وعادوا بهم إلى معسكر الحرس الخديو برحبة عابدين، فلما اتصل الخبر بالخديو اضطرب، وأرسل يستقدم الرئيس مصطفى رياض باشا، وسائر الوزراء فحضروا، فأشار إليهم بالذهاب إلى قصر النيل وتلافى هذا الخطب الوبيل، فقاموا ولكنهم ما بارحوا رحبة السراى حتى رأوا الجند آتين، يعزفون بالبوق والنفير، والأمراء الثلاثة يتقدمونهم فعادوا مسرعين إلى مقر الخديو، ولم يلبثوا إلا قدر جلسة الخطيب حتى أحاط الجند بالسراى إوطة السوار بالمعصم، وأحدقوا بها من كل جانب: وقد كان وصل الخبر أثناء ذلك إلى معسكرى العباسية وطرة، فحضر منهما على الفور فرقتان من المشاة، وانضمتا إلى جند عابدين، وصاروا جميعًا ينادون بالويل والثبور على الفريق عثمان باشا، ويصرحون بشق عصا الطاعة إن لم يأمر الخديو بعزله، وتخليه عن مسند نظارة ديوان الجند. حدثنى صاحب لى أيضًا قال: إنه لما أن برز الحكم من المجلس
[٢١٥] العسكرى بتجريد/ الأمراء الثلاثة من وظائفهم العسكرية، وتوظيف بدلهم من الضباط الشراكسة، صدر فى الحال أمر أيضًا من الفريق عثمان باشا إلى ثلاثة من الأمراء الشراكسة بالمبادرة إلى القبض على أزمة وظائف

---

(١) الصحيح الرءوس.

الثلاثة المحكوم عليهم، قال: فلما أن توجه أحدهم المعين قائدًا لجند حرس الخديو وشاهد ما شاهده من قيام الجند نحو قصر النيل، رجع إلى حيث أتى: أما الثانى الذى بعث به ليتولى الإمرة على الجند السودانى فإنه لما وصل إليه واطلع على الأمر الذى بيده قائمقام الآلاى قبض عليه فى الحال، وألقاه فى سجن، ووكل به من يخفره، وقام لساعته ومعه فرقة من الجند، وقصد رحبة عابدين بسرعة ما عليها من مزيد، قال ووقع مثل ذلك أيضًا للذى ذهب إلى معسكر العباسية.

فلما شاهد الخديو ما شاهده من وقوف الجند موقف العصيان، وسمع ما سمعه من صياحهم وضجيجهم، أرسل إليهم أحد ياورانه يأمرهم بملازمة السكون والاطمئنان، فصاحوا فى الحال قائلين: افندمذجوف يشا[1] ا.هـ.

فهرع الناس إلى الرحبة مسرعين، وهم فى خوف ورجفة/ وتسابق [٢١٦] إليها الصبيان، يصيحون، وكثرت الضوضاء والغوغاء، وحضر قناصل الدول إلى مقر الخديو ليقفوا على أسباب هذه الحادثة، قيل وقد كان أحمد عرابى بك بعث أثناء ذلك بالرسائل إلى القناصل بأمنهم[2] فيها على رعاياهم وأتباعهم. ويقول: إنه لا دخل لهذه الحركة فى الأمور السياسية وإنها ليست إلا مسئلة[3] حقوقية.

فهال الخديو هول هذا المشهد وأمر على الفور، بعقد هيئة مجلس النظار تحت رئاسته، فانعقد، وانتظم فى سلكه أيضًا قناصل الدول، وتشاوروا فى الأمر مليا، ثم طلب أحمد عرابى بك زعيم القوم أمام المجلس، وسئل عن

---

(١) تعبير عسكرى تركى يدل على حسن الطاعة.

(٢) صحتها يؤمنهم.

(٣) الصحيح مسألة حقوقية ويقصد بذلك أنها مسألة تتصل بمطالب فئوية أكثر من أن يكون لها طابع سياسى.

دواعى وقوفه هذا الموقف، قيل فبين الأسباب، وأفصح الخطاب وعدد من مثالب الفريق عثمان باشا ما أفحم الحاضرين، ورد عنه لوم اللائمين، كل ذلك والجند ينادون بالويل، ويطلبون الإسراع بسقوط الفريق عثمان باشا حتى أوجب صياحهم، إن أحاط الشرطة والحرس بالسراى لدفع ما كان
[٢١٧] متوقعًا حصوله من الخطر، وبعد مداولة ليست / بقصيرة، قر رأى المجلس على تكليف الفريق المشار إليه بالانعزال عن خطة النظارة، وإحالة أمرها على عهدة محمود باشا البارودى، العامل يومئذ على ديوان الأوقاف مع بقائه تحت عهدته أيضًا. وصدر بذلك أمر من الخديو كما صدر معه الأمر أيضًا بإبقاء أولئك الثلاثة ضباط فى مراكزهم.

فلما صدرت إليهم الأوامر بما ذكر، نادوا ثانية افندمذجوف يشا ثلاثًا، وانسحبوا إلى معسكر عابدين، وآلات الموسيقى تصدح أمامهم، وقضوا تلك الليلة وهم بين راقص ومطرب ومدخن بقصبة دخانه، وضاحك مع صاحبه حتى شروق الشمس، فقامت فرقة العباسية يتقدمها أحمد عرابى بك وتوجهت إلى مقرها، وكذلك فرقة طرة يتقدمها عبد العال بك أبو حشيش، وقد لهجت الجرائد عمومًا بذكر هذه الحادثة، وخصوصا الجرائد الأجنبية فإنها فصلت فيها وقاست وخاطت وأهل البلاد فى سنة من النوم لا يعبأون[1] إلا بالحال، ولا يفكرون أبدًا فى المآل، الذى سيأتى بيانه إن شاء الله.

[٢١٨] وفى يوم الخميس خامسه، كان زفاف جميلة هانم أخت الخديو لأبيه، / فقام موكبها من سراى الإسماعيلية فى الساعة الثامنة، ومر من شارع القصر العالى محفوفًا بالجند بين مشاة وركبان، إلى شارع السيدة زينب ثم إلى الصليبة فالسيوفية، فالحلمية، فالسروجية، فقصبة رضوان، ومنها إلى

---

(١) صحتها يعبئون.

السكرية، والغورية، ثم إلى الموسكى فالأزبكية، فشارع عابدين ومنه إلى قصر النيل منتهيًا إلى مقرها بسراى الجزيرة.

وفى سابعه، أصدر الخديو أمرًا لهيئة مجلس النظار، يقول: بناء على ما تقرر وصار استحسانه من بقاء نظارة عموم الأوقاف فى عهدة محمود سامى باشا مع نظارة الجهادية، ثم استمرار تبعية البحرية للجهادية على ما هى عليه، من قبل، قد صدر أمر بذلك للباشا المشار إليه وهذا لكم بالإشعار، قلت وشاع فى هذا الحين أن فى عزم الخديو تغيير الوزارة، وتكليف الرئيس مصطفى رياض باشا بالانسحاب من خطته[1]، فكان الناس بين مستحسن ومستقبح خصوصًا محررى بعض الجرائد المحلية العاملين على إعزاز جانب / الرئيس المومى إليه، فكذبت جريدة الوقائع [٢١٩] المصرية هذه الإشاعات حيث قالت: إنها من نوع الأراجيف التى ما برحت تختلقها أصحاب الغايات، وأكثر الرئيس من الجولات فى شوارع المدينة بعربته، وهو فى كبكبة بعد انقطاعه عن ديوانه أيامًا، وعاد الناس إلى التشدق بذكر حادثة الجند، فمن قائل إن طلب الأمراء الثلاثة والحكم عليهم بالتجريد من رتبهم العسكرية، ما كان إلا بناء على التماس عثمان رفقى باشا وقبوله على نفسه تبعة كلما[2] يحدث من إبرام الحكم وتنفيذه، وعلى أن هيئة مجلس النظار، والخديو لم يقبلوا هذا الأمر إلا على هذا الشرط، ومن قائل إنه لو لم يستعمل ناظر الجهادية الحيلة فى طلب الثلاثة أمراء المذكورين، والخديعة فى إدخالهم قصر النيل بحجة أنه يروم المشاورة معهم فى أمر تأليف موكب زفاف أخت الخديو ما كان تيسر له قط إكراههم على الحضور ولا إبقائهم فى السجن لحظة من الزمان.

---

(١) أى الاستقالة من منصبه.

(٢) يقصد كل ما.

[٢٢٠] ومن قائل إن الجند لما أحاطت بمحل أفلاطون / باشا[١] العامل على وكالة الجهادية، وهو شاكو السلاح داخل بعضهم وقبض عليه، وأثخنه ضربًا وجرحه بعض الجراح، وكذا فعل البعض الآخر بلارمى باشا، وأستون باشا، وبلتش باشا[٢] عندما هموا بإغاثته. ومن ومن حتى أمست هذه الحادثة سلعة يتجر فيها أهل البطالة والكسل فى أسواق الجهالة والتخريف فكتب مكاتب جريدة الأهرام فى هذا الصدد إلى صاحبها يقول: أفدتكم سابقًا أن سمو الخديو، قد عفا عن الضباط بشأن ما جرى، والآن أؤكد لكم القول وأثبته مظهرا التعجب من أصحاب الغايات الذين يشيعون أقوالاً مؤداها أن هذا العفو يحفظ إلى زمن، فكأنى بهم ما زالوا معتقدين أن الأحوال القديمة ملازمة أو أن سمو الخديو لا يقوم بوعده، ونسوا أن مثل هذه الأقوال لا ينبغى أن تقال على أمير، برهن من يوم تبوأ الأريكة الخديوية على مبادئ شريفة ومطالب بديعة. غايتها خدمة البلاد والأهلين، قال: وعليه فإن لنا ملء الثقة بكون العفو صدر من قلب طاهر، لا يخامره غش، ولا يرتاب به، كيف لا: ونحن نعلم ميل هذا الأمير إلى
[٢٢١] تحسين أحوال الجندية، / ورعاية الوسائل اللازمة فى شأن تعزيزها ورفع عمادها، وحفظ شرفها، وكم له من مأثر فى هذا المعنى بل كم أجرى من الأعمال الدالة على هذه المقاصد من يوم كان مشرف الإسكندرية، ولم ينفك مطردا هذه الخطة الشريفة، التى تجنى منها البلاد ثمار الفوائد ا.هـ.

قلت: وكأنى بالثلاثة ضباط[٣] المذكورين كانوا يتخوفون عواقب هذه الحادثة، لما يعلمونه من تحزب طائفة الشراكسة عليهم، والسعى خلف إيقاعهم فى إشراك المنون خصوصًا وقد كانوا يتوسمون فى وجه الرئيس

(١) وكيل وزاره الحربيه أو ما كان يسمى نظارة الجهادية بلغة العصر.
(٢) من ضباط أركان الجيش المصرى من الأمريكيين.
(٣) صحتها الضباط.

مصطفى رياض باشا سمة الضغائن، والميل إلى الأخذ بالثأر، ولو بعد حين قيل: وكانوا يرون من أعماله ما حقق لهم فيه آمال الشر، وصرف عنهم آمال الخير فعلموا أن لا مجير لهم سوى ملازمة محمود باشا البارودى ملازمة المسترشدين، والتزلف إليه بقدر الطاقة، كى يكون عونًا لهم عند اشتداد المصائب واحتدام الخصام، وهذا لما رأى تقربهم إليه وإخلاصهم فى المشورة، وانقيادهم خلف إشارته، وتلبيته عند كل سؤال، ورضوخهم لأوامره / ونواهيه، داخله من الاختيال والفخر ما دفعه إلى مناوأة الرئيس [٢٢٢] ومعاكسته فى كل عمل يعمله قصد إحباط مساعى العصابة، وقمع زعمائها بل أخذ يسعى لدى الخديو فى طلب رضاه وعفوه عنما[1] سلف من أولئك الزعماء، كى لا يجد الرئيس بابًا للمنافسة، والخصام فقدر الله بأن نجحت سعايته، وتمكن من تسكين خاطر الخديو، وإرضائه رغمًا عن مكابرة الرئيس ومعارضته، وكان من الخديو أنه فى يوم السبت العشرين منه فى نحو الساعة الخامسة نهارًا، استدعى جميع الضابطان الجند المقيمين بمصر المحروسة من رتبة البكباشى، إلى الفريقان فحضروا جميعًا يقدمهم محمود باشا البارودى المقدم الذكر، وتمثلوا بين يديه فألقى عليهم هذا الخطاب.. إنكم تعلمون حق العلم ما عندى من الميل والمحبة للعساكر، والالتفات إلى شئونهم من يوم استلامى زمام الحكومة وذلك لما هو محقق لدى إنهم متحدون معى فى مقاصدى الحسنة التى هى دوام المحافظة الأمنية، واستقامة الأحوال الإدارية، فى هذا القطر / فلذلك لا أخفى عنكم ما حصل لى من الأسف [٢٢٣] بأسباب الحركة، التى حدثت وانقضت: ومع هذا قد عفوت، ولم يبق فى قلبى من آثارهم شىء بالكلية، فيلزمكم من الآن فصاعدا أن لا تشتغلوا بشىء خارج عن حدود وظائفكم، واجتهدوا فى أداء واجباتكم العسكرية:

---

(١) يقصد عما.

والمعلوم أن كل سعيى واجتهادى متجه إلى إصلاح الأحوال وتحسين الأمور، وهيئة النظار الحاضرة متحدة معى فى هذه المقاصد الخيرية ومجتهدا فى تتميم ما يجب من الإصطلاحات* اللازمة: وليس بخاف عليكم ما تم بهذا القطر من الإصطلاحات[1] المالية والإدارية فى ظرف سنة واحدة، وذلك مما يوجب على كل محب لهذا الوطن إبداء الشكر وإظهار علامات المسرة: وحاصل ما أقول لكم: إن العساكر ليس لهم وظيفة سوى التمسك بالقوانين الجهادية والسعى فى أداء واجباتهم العسكرية والامتثال لولى أمرهم.

وإنى لعلى يقين من أنكم تعتقدون بأن أكمل الصفات العسكرية، هى
[٢٢٤] الاستقامة، والامتثال فى كل الأمور/ والأحوال، فمن الواجب عليكم أن تحافظوا على ذلك وتجعلوا أعمالكم دائرة على هذا المحور القويم.

قيل فأبدوا[2] الجميع علامات الخضوع وشارات الشكر والمسرة وانصرفوا إلى حيث أتوا، ثم توجه زعماء العصابة الثلاثة إلى مقر قنصلى الإنكليز والفرنسيس، وبينوا لكل منهما ما هم عليه من السكينة والاطمئنان وملازمة الحدود والقوانين، وأن ليس هناك باعث إلى الاضطرب والقلق الملازمين على تسكينها منذ وقعت حادثة قصر النيل: قيل فرضى القنصلان كل الرضاء بما سمعاه، وذكرت جريدة الوقائع الرسمية شرحًا طويلًا فى هذا الشأن إلى أن قالت، ولا ريب فى أن هذا النطق الخديوى يعد كفالة تامة بالعفو عما توهم من تلك الحادثة السابقة، فيكون موجبا لاطمئنان حضرات الضباط وكمال انتمائهم على أنفسهم وشرفهم العسكرى فيزول به ما يشيعه المرجفون، وأرباب الغايات الفاسدة عنهم
[٢٢٥] من أنهم يتخوفون سطوة الحكومة، وإن حضرات الضباط لعلى علم تام بما

(١) يقصد الإصلاحات. (٢) صحتها فأبدى.

اكتسبوا من التربية العسكرية، إن نطق أولياء الأمور بعد قضاء مبرما وليس وراء النطق الخديوى الجليل إلا غاية الأمن والطمأنينة، قالت: قد أشار الخديو أيده الله فى خطابه إلى الإصلاحات الإدارية المالية التى تم أمرها فى ظرف سنة واحدة تذكرة لحضرات الضباط وإن فيها الكفاية لمن يتذكر، فقد وصلنا فى ظرف السنة إلى حال حسدنا عليه العدو، وهنأنا به الصديق، وعمت المراحم الخديوية سائر أفراد الرعية وانتشر لواء عدلها فى جميع أنحاء القطر، وأحوال الضعفاء من كل صنف ناطقة بذلك شاهدة به، وإن كان ينكر هذا النور الساطع بعض ذوى الغايات فما على العقلاء من إنكارهم أو إقرارهم، وإننا نعترف أن للإصلاح بقايا لابد من تتميمها فى المستقبل، وقد صرح هذا النطق الخديوى بأن الهمة العلية متجهة إلى إتمامها، وأن هيئة النظار الحاضرة على اتحاد تام معه فى هذه المقاصد الجليلة..

وقد شهد العالم من سوابق أعمالها، أنها/ جارية على مقتضى الأفكار [٢٢٦] الخديوية مطبقة أعمالها على ما يميل إليه رأيه الصائب من إيجاد وسائل الراحة والرفاهية لأهالى هذه البلاد، وتيسير طرق المساواة بين أفراد الرعية وعظمائها فى إحكام القوانين والنظامات، وأن ما تم من المنافع العمومية، وظهر للعيان فى عهد الحضرة الخديوية باتحاد هيئة الوزارة الحاضرة، يبشرنا بتنجيز هذا الوعد الخديوى فعلى كل شخص صحيح الوطنية، أن يقدم مزيد الشكر للحضرة الفخيمة الخديوية وهيئة حكومتها الحاضرة، ويعترف لها بحق الغيرة الوطنية والإخلاص القلبى فى كل أعمالها أيد الله جناب خديوينا، ومتعنا بدوام وجوده ا.هـ.

ولا يمنعك الطير شيئًا أردته فقد خط بالأقلام ما كنت لاقيا

قلت: ولم يكتف محمود باشا البارودى بما فعل، بل كان يكثر من التردد على قناصل الدول، ويخص بالمسايرة قنصل الفرنسيس رغمًا عن مكابرة الرئيس، ويعمل على تأليف القلوب المتنافرة، وجمع الأهواء المتفرقة حتى

[٢٢٧] كان منه أن أرسل إلى جريدة الوقائع/ المصرية منشورًا يقول فيه:

بلغنى أن بعض ذوى الغايات السيئة يشيعون بعض أقاويل ينسبونها إلى ضابطان الجهادية[١]. بما توجب تشويشًا فى أفكار العامة مع أنى على يقين تام من كون حضرات الضباط وأمراء العسكرية، فى غاية من العقل والبصيرة، لا يأتون من الأمور ما يخل بنظام أو يوجب اضطرابًا ولا يرضون بإشاعة هذه الأقاويل عنهم، ولأجل ذلك أقول على وجه التحقيق إن جميع ما يشيعه المرجفون عنهم، إنما هو محض افتراء، وعلى الحكومة أن تترقب أحوال المفسدين الذين يذيعون هذه الأراجيف، التى لا تسر محبى الديار المصرية، وتعاقبهم على ما يرتكبونه من الكذب والتقول محافظة على راحة الخواطر، وشرف العسكرية، وربما يوجد أشخاص يتزيون بزى الضباط العسكرية، أو يذهبون إلى بعض الجهات على أنهم مرسل من طرفهم، فأمثال هؤلاء يلزم طردهم بل والقبض عليهم، ومجازاتهم، لأننا نقطع بأنهم ليسوا من الضباط، ولا هم من طرفهم، وأن
[٢٢٨] أعمالهم/ لا ترضيهم كما أنها لا ترضى شخصى أيضا، بوصف كونى ناظر جهادية أيضًا فإن شرف الضباط وكمال تربيتهم يمنعهم من أمثال هذه الأمور، التى يتوهمها ضعفاء العقول فيهم: قال وعلى أرباب الجرائد الوطنية أن يكفوا عن الخوض فى هذه المسئلة[٢] وجميع أطرافها ومستلزماتها فإن كثرة الكلام فيها على غير طائل بالكلية فما هى إلا حادثة جزئية انقضت وكأن لم يكن ا.هـ.

ومن العجيب أنه مع هذا كله ومعما[٣] أخذ على أولئك الزعماء من العهود والمواثيق، فإنهم ما برحوا يجتمعون على عادتهم، ويعملون على

---

(١) ضباط الجيش.
(٢) الصحيح المسألة.
(٣) يقصد مع ما.

توحيد كلمتهم، ويضمون إليهم كل من لحقه من الرئيس إذاً[1] أو مكروه ويسعون خلف غلطاته يفندونها أو ينادون بها على رؤس[2] الأشهاد قصد رسوخ بغضه فى قلوب أهل البلاد، حتى كاد السواد الأعظم من أهالى مصر المحروسة أن يعتقد انتقال زعامة هاته العصابة من رئيسها الأول أحمد عرابى بك إلى آخر أشد تحمسًا وإقدامًا وهو شخص محمود باشا البارودى، بل وذهبوا أيضًا إلى أن/ البارون دى رنج قنصل جنرال الفرنسيس هو [٢٢٩] المعين لهم على النهج فى هذا المنهج قصد ضعضعة سطوة الرئيس، وإذهاب نفوذه تشفيًا وانتقامًا جزاء ما أوقعه من الوحشة بينه وبين المراقب كما تقدم البيان، وقد دل على قرب هذا المذهب من مواقع الصحة ما طنطنت به بعض الجرائد فى ذاك الحين من تقبيح مسالك القنصل المومى إليه، ووسمه بالتهور والمروق عن جادة العمل والدخول فيما لا يليق به الدخول فيه، واختلاقها خبر استدعائه إلى بلاده وانسحابه من خطته، فكانت الجريدة من هاته الجرائد تكذب اليوم ما قالته بالأمس، وتخلط وتخبط خبطًا قد أضربنا عن ذكره صفحًا لخلوه من الفائدة المقصودة من هذا المقام.

وفيه أيضًا دخل مينا الإسكندرية السفينة المسماة ميرامار مقلة الأرشيدوق رودلف، ولى عهد قيصر النمسا على حين كان ينتظره فى الترسخانة[3] مصطفى فهمى باشا ناظر الخارجية، وعبد القادر باشا المعين لمرافقته، وأحمد باشا رأفت محافظ المدينة، وقاسم باشا وكيل البحرية، وقنصل النمسا/ الجنرال وموظفو القنصلاتو[4] وكثير من أعيان التبعة [٢٣٠]

---

(١) صحتها إيذاء. (٢) الصحيح رءوس.

(٣) الترسخانة أى مكان الترسانة وهو مكان رسو سفن الركاب وقتئذ.

(٤) القنصلاتو أى القنصلية وكان التمثيل الأجنبى فى مصر فى ذلك العصر على مستوى القنصلية العامة - انظر دكتور يونان لبيب رزق: الخارجية المصرية ١٨٢٦-١٩٣٧ (القاهرة ١٩٨٩).

النمسوية، فلما حلت السفينة بمقرها أطلقت المدافع من طوابى المدينة، ومراكب البحر، وتوجه المبعوثون المنوه عنهم بالملابس الرسمية، على الزوارق إلى تلك السفينة، وصدحت موسيقى باخرة الخديو الخصوصية بالنشيد النمسوى القيصرى، فقابلتها موسيقة السفينة بالنشيد الخديوى، ولما وصل هذا الجمع، دخل القنصل مع موظفى ديوانه إلى مقر الأمير ثم دخل مصطفى فهمى باشا، وعبد القادر باشا، وأحمد باشا، وسواهم من رجال الحكومة ثم الأعيان، وباقى من حضر من التبعة النمسوية، وقدمت عمدة للأمير لدى دخولها حقًا[1] من مخمل مزخرف باسمه مع ملف من الفضة به كتاب التورة[2] ولما كانت الساعة السابعة نهارًا نزل من السفينة ومعه مبعوثوا[3] الحكومة مع رجاله فى الزوارق إلى البر، وركب عربته إلى محطة الرمل من ضواحى الإسكندرية ومنها ركب الوابور إلى الرمل، ثم عاد وتجول فى بعض / أنحاء المدينة وعاد إلى السفينة عند الزوال. [٢٣١]

وفى صبيحة الحادى والعشرين منه، أعد له قطار الخديوى الخاص واصطفت الجند والشرطة على جانبى الطريق، فركب وحضر إلى المحطة حيث كان ينتظره كثير من التبعة النمسوية، فودعهم وتوجه إلى مصر القاهرة، ووصل إليها بعد ظهر اليوم المذكور وكان الخديو بالمحطة ينتظره ومعه بعض رجال ديوانه، واصطفت فرقة من الجند المشاة وفى مقدمتهم آلات الموسيقى، وبعد أن أديت إليه رسوم الاستقبال ركب مع الخديو وتوجها إلى قصر النزهة بشبرى[4] من ضواحى المحروسة حيث أعد لنزوله، ثم عاد الخديو إلى مقره بالإسماعيلية.

وفى الثانى والعشرين منه أدى الأمير مراسم الصلوة فى كنيسة الإفرنج

(١) الحق هو علبة من الصفيح.
(٢) التورة صحتها التوراة وهو العهد القديم من الكتاب المقدس.
(٣) صحتها مبعوثو. (٤) صحتها شبرا.

الكائنة بدرب الجنينة، ثم تفرج على المساجد وبعض الأضرحة وقلعة الجبل وأهرام الجيزة، وبعد ذلك توجه لزيارة الخديو فى سراى عابدين على طريقة غير رسمية، وفى غروب اليوم اتخذ له الخديو مأدبة حضرها / الأمراء من [٢٣٢] عائلة محمد على والوزراء وقناصل الدول ورجال الديوان الخاص، وبعد الفراغ من الطعام ركب مع الخديو وتوجها إلى حديقة الأزبكية فى نحو الساعة الثالثة ليلاً حيث زينتها التبعة النمسوية بصنوف الأنوار، وعملت فيها الألعاب وأشكال الحراقات النارية، وقد كانت غاصة بالمتفرجين، والمتفرجات والمغنيين والمغنيات، وأرباب الحرف المصرية، وعملت له ذلك تشريفة رسمية بسراى عابدين وقد ضربنا صفحا عن ذكر تفصيلاتها.

عود: قد بينا فى ما مر أن بعض الجرائد المحلية، والكثير من أهالى المحروسة، كانوا يرمون البارون دى رنج قنصل الفرنسيس بالتهور ومعاونة زعماء العصابة عمومًا، ومحمود باشا البارودى خصوصًا على إحباط عمل الرئيس والمراقب تشفيًا وانتقامًا منهما وبينا أيضًا ما كانت تذيعه تلك الجرائد من خبر استدعاء القنصل المذكور إلى بلاده، وما وسمته به من الشطط والمروق / عن جادة العمل، وغير ذلك من أنواع التنديد.. فحيث [٢٣٣] كان لهذا القنصل أنصار وأعوان هم على شاكلته، يمقتون الرئيس والمراقب، ويعملون على تثبيت أقدامه وزعزعة مسند أعدائه، ولاسيما بعد علمهم بما دبراه[1] له الرئيس والمراقب من طرق النكاية والغدر به، اجتمعوا فى النزل المعروف بنزل أبات بمدينة الإسكندرية، وتشاوروا فى الأمر فقامت فيهم الخطباء يلقون على أسماعهم من التهويل والمبالغة فى إساءات الرئيس والمراقب ما هالهم وساءهم، وأضرم فى أحشائهم نيران الحقد فتحالفوا على تحرير عريضة، يبعثون بها إلى مجلس نواب الفرنسيس

---

(١) صحتها دبره.

يتشكون من سوء تصرف المراقب وإجحافه بحقوق الأمة الإفرنسية، وهضم جانبها ويطلبون من مجلسهم دقة النظر، والتروى فيما ترتب عليه استدعاء القنصل إلى بلاده فحرروا هاته العريضة، وأسرعوا فى إرسالها رجاء الفوز والتغلب وكبح مطامع المراقب والرئيس، ولكن لم تمض
[٢٣٤] إلا الأيام القلائل حتى أرسل رئيس جمهور الفرنسيس، / يستقدم القنصل المشار إليه على وجه السرعة، فهاج أعوانه وماجوا وأرسلوا عريضة أخرى إلى رئيس الجمهور يطلبون فيها عدم صرف النظر عن عريضتهم الأولى، ويلتمسون عودة القنصل ثانية إلى خطته، ثم صاروا يكثرون من الاجتماع والمشاورة والتفنن فى ضروب الذب والدفاع كتحرير المقالات التحريضية فى جرائدهم، واستنهاض همم التبعة الإفرنسية إلى المناداة باسم البارون دى رنج، وتقبيح مسالك المراقب، ورميه بالمروق عن ملته وغير ذلك من الأقوال التى كانوا يعتقدون أنها كافية لبلوغهم الأرب ومع هذا كله فإنه..

فى يوم الثلاثاء ثلاثين منه، سافر البارون المذكور إلى مدينة باريس، رغم أعمالهم وعكس آمالهم، وكان لسفره من الغم والأسف عند أولئك القوم ما لا يوصف، إذ اجتمع نيف وتسعون منهم وصحبوه إلى الباخرة التى حملته، وعلامات الحزن والغيظ تنطق على وجوههم، وودعوه وهم كما قيل على عهدهم من السعى خلف الإضرار بالرئيس والمراقب وإن طال
[٢٣٥] الأمد: فكتب صاحب جريدة الوطن يومئذ فى هذا/ الشأن يقول:

أهم حوادث هذا الأسبوع أن حكومة فرنسا أمرت البارون دى رنج قنصلها الجنرال فى مصر بالحضور إلى باريس حالاً، قال وسبب ذلك هو كما قالت جرائد الإنكليز: إن هذا القنصل كان له اطلاع على أسباب الحركة الأخيرة قبل حصولها بيومين، ومع ذلك لم يطلع رئيس مجلس النظار،

ولا المراقبان العموميان[1] عليها، وترتب على هذا حصول نفور ونشوز بينه وبين المسيو دى بلنيار: قال: ومن هنا يتضح أن سبب عزله هو خروجه عن حدود وظيفته، وتعرضه لما لا يعنيه فى أمور مصر الداخلية، وأقبح من ذلك أنه كان ساعيًا فى تغيير الهيئة الحاضرة حتى قيل إن البند المحرر فى جريدة الكوريه اجبسيان الذى مقتضاه جعل الخديو رئيس مجلس النظار، ودولتلو رياض باشا نايبا[2] عنه هو عن لسانه، أو من تأليفه: قال: وسبب مناصبته لرئيس مجلس النظار هو أن رئيس المجلس بارزه فى اللجنة الدولية وقاومه فى جملة أمور: منها، / تقليل قوة المحاكم المختلطة، وتعلقها [٢٣٦] بالحكومة، ومنها جعل عقاب الجنايات من خصائصها عوضا عن جعله فى يد القناصل الذين كثيرًا ما يتساهلون مع أرباب الجنايات، ويرسلونهم فقط إلى بلادهم ولو تم ذلك لنقص نفوذ القناصل، ومنها فرض ضرائب على الأوروباويين مثل الوطنيين سواء، وغير ذلك، ولما طلب البارون دى رنج جعل المطابع تابعة للمجالس المختلطة، لم يرض دولتلو رياض باشا[3]، وعلى كل حال أظهر لهم الحزم وخلط لهم الشدة بضغث من اللين، ومزج لهم بين التقرب والإدناء والإبعاد والإقصاء وذب عن وطنه وخوذته، ورمى من وراء حرمته، وآثر انتشاب حرب محلية، ولم يرض بسلم مخزية أى أنه رضى بمكافحتهم، ولم يرض موافقتهم فانتعص وانتغص[4] البارون، وسعى فى تقليل من يوافقه ويرافقه على هضم الوطنيين، ولم يدر أن الواجب على من يقوم من الوطنيين أن يدافع عن حقوقهم، كما هم مدافعون عن حقوق رعاياهم، ولم يجعل نفسه ميزانًا بينه وبين غيره، ولم يحب / لغيره ما يحبه [٢٣٧] لنفسه: فهذه الأسباب وغيرها من حب زيادة النفوذ والوجاهة علمته على

(١) صحتها المراقبة العمومية (٢) الصحيح نائبًا.
(٣) صاحب الدولة وهو لقب كان يتمتع به رئيس الوزراء.
(٤) هاج وماج.

التطاول على حقوق الخديوية إلى أن صدق عليه المثل القائل من فخر فخرًا لأخيه وقع فيه، ولابد أنه لما يتذكر حدود وظيفته، ويقارن بها سلوكه يأخذه الندم والسدم[١] ويفنى يده عضا وأسنانه رضا، ولو نجح فى العزل والتولية فى مصر لأصبحت البلاد فى حومة ذل، يتحكم فيها كيف شاء فيقلد من يشاء ويمضى أحكامه على رقاب العباد، فاستعيذ بالله من لواقح[٢] الكبر فإنها مصيدة إبليس العظمى، ومكيدته الكبرى، وهل ظن أن مصر هى تونس التى أمضت فرنسا فيها أحكامها الشرعية، والسياسية، وألزمت باى تونس ووزراءه بالامتثال ونبذت الشرع الوطنى ظهريًّا، أو لم يدر أنه يجب على نواب الدول أى القناصل، أو السفراء ملازمة حدودهم من مجرد الذب عن حقوق رعاياهم الأجنبيين، ومن الاقتصار على إجراء المخابرات
[٢٣٨] السياسية الدولية بين حكومته وحكومة البلاد/ المقيم فيها، والسعى فى إقامة عماد الحق ونشر أمثلة العدل فى صغير الأمور وكبيرها، والتصرف بالسكينة والوقار ومراعاة مقام الحكام، وإذا نصحهم كان ناصحًا شفيقًا وأمينًا حفيظًا غير معنف ولا مجحف ولا ملغب[٣] ولا متعب لا يقدم إلى الطرق التى بينه وبينها مسافة بعيدة، ولا يحملن على ظهره فوق طاقته فيكون ثقل ذلك وبالأغلبية كالتطاول على حقوق الحكام والممالك.. أو لم يدر ما هو حاصل فى الآستانة؟ فإن السلطان المعظم بيّن لجميع الدول عدم جواز تداخلهم فى مملكته وكيف قهر غلادسطون[٤] بحسن عزيمته، وشدة شكيمته انزوى المستر غلادسطون بعد دولشيو فى زوايا الانكماش، ولم يتيسر له تنفيذ سياسته التى ذهب إليها قبل تقليده زمام الحكومة

---

(١) السدم تعنى الندم والحزن.

(٢) لواقح مفردها ألقح بمعنى الفحل الناقة والريح السُحاب.

(٣) أصلها لغب بمعنى التعب والإعياء.

(٤) يقصد جلادستون رئيس وزراء بريطانيا.

الإنكليزية، ولما رأت فرنسا ذلك لم تجسر على تأييد مطاليب[1] اليونان بل نكصت لئلا تقع فى الورطات، والمشاكل مع أنها كانت فى أول الأمر من أعظم بل أول المساعدين لليونان، هذا مع توقف الدولة عن دفع الفوائد/ [٢٣٩] والديون فإن الواجب على كل دولة أن تقتصر النظر على داخليتها. قال. ولعل سائل[2] يقول: إذا كان الأمر كذلك فلماذا تعرضت فرنسا وإنكلترا لعزل الخديو السابق: أجبتك أن عزل الخديو السابق لم يكن بموجب قانون ولا شرع دولى كما قال سكوتسمان: وكما قال صاحب التيمس أيضًا. ولو كان مع الخديو السابق مشير ناصح، أو وزير فالح لما حصل له ما حصل، ولكن المولى سبحانه وتعالى أضله بسبب مظالمه عن الصواب. فسلم فى أمر لم يسوغه قانون دولى، ولا مسوغ من المسوغات كاستغاثة رعاياه مثلاً بالدول، وعلى كل حال فانقاد ذليلاً لفرنسا التى كانت ساعية فى عزله، ثم لإنكلترا التى وافقتها على ذلك قال: ولا نلوم الخديو السابق على هذا العمل، بل الذى يستوجب اللوم هو مشيرو السوء، ولا يتوهمن أحد أن عدم تسديد الفوائد والديون فى آجالها، ونكث بعض العهود والمخاتلة والمراوغة هى من المسوغات الدولية لتعرض مملكة لأخرى فى أمورها الداخلية، وعزل حاكمها/ فهذه بعض دول أوربا، وبعض ممالك أمريكا [٢٤٠] والدولة، وغيرها توقفت عن دفع الديون ومع ذلك لم تجسر مملكة على التعرض لحاكمها بسوء، غاية الأمر أنها أحدثت بعض الوحشة فإذا كان الأمر كذلك فأى مسوغ وأى قانون يجوّز للبارون دى رنج أن يتعرض لمصر فى أمورها الداخلية حالة كون حاكمها مظهرًا غاية الاستقامة، والصداقة فى مراعاة العهود والمحافظة على العقود، فسدد أقساط الديون فى آجالها حتى ارتفعت مقادير البونات، فبعد أن كان ميئاتها[3] خمسة

(١) صحتها مطالب. (٢) صحتها سائلا.
(٣) يقصد النسبة المئوية.

وعشرين وخمسين أصبحت الآن اثنين وسبعين،ولو فرضنا أنه لم يفعل ذلك لما جاز للبارون دى رنج أن يتعرض لما لا يعنيه، ولماذا لا نرى غيره من قناصل الدول ناهجًا على منواله فى التطاول والخروج عن حدوده، مع أن مصالح بعضهم فى مصر أعظم من مصلحته، والحاصل أنه يجب علينا الثناء على حكومة فرنسا إذ راعت جانب العدل وتصرفت بغاية الحكمة، وحسمت ما كان ينجم من الشر بين هذا القنصل وبين المسيو دى بلنيار،

[٢٤١] والحكومة المصرية: قال: وشاع / أن بعض الفرنساويين عرضوا فى حق المسيو دى بلنيار لحكومتهم فإذا صح ذلك قلنا: إنه ضرب من الهوس لأن الميسيو دى بلنيار ليس بقنصل، وثانيًا أنه مراقب حركات الحكومة المصرية وضبط المالية وحسن الإدارة والفائدة عايدة[1] على أرباب الديون الذين أغلبهم فى فرنسا، وليس فى مصر، ومن المعلوم أنهم راضون عنه ا.هـ.

قلت: وليس صاحب جريدة الوطن وحده، هو الذى خاض فى بحار الطعن والتنديد، بل وأصحاب بعض الجرائد الإنكليزية أيضًا كجريدتى التيمس والأجبسيان غازيت وغيرهما، إذ فصّلوا وقاسوا وخاطوا وألبسوا هذه الحادثة ثياب القدح، وبالغوا فى المضار والوحشة التى كانت تقع بين الحكومة المصرية والحكومة الإفرنسية، فيما لو بقى البارون المذكور فى خطة القنصلية، واستحسنوا سياسة رئيس جمهور الفرنسيس استحسانًا لا يخلو من التشفى.

وبينما كانت تلك الجرائد تخلط وتخبط وتتسابق فى ميدان الطعن كانت أعوان البارون أيضًا وأنصاره، وذووه يعقدون الجمعيات، ويحفلون المحافل،

[٢٤٢] ويدبرون الوسائل، ويبعثون العرائض والرسائل، إلى رئيس جمهور الفرنسيس، ولا سيما زعيمهم المسمى المسيو جاكن، فقد قيل إن هذا

---

(١) صحتها عائدة.

المسيو كان لا ينفك عن حشد الجموع، وتهييج الخواطر ضد الرئيس مصطفى رياض باشا، والمراقب، وكان من أعماله أن جمع فى بيته جماعة من الفرنسيس، وألف منهم لجنة أو عصابة أسماها باللجنة المؤقتة المكلفة بالمدافعة عن مصالح الفرنسيس فى مصر، وترأس عليها ثم أرسل إلى رئيس جمهور الفرنسيس خبرًا يقول: إنى بصفتى رئيس للجنة المؤقتة المكلفة بالمدافعة عن مصالح الفرنسيس فى مصر، أطلب بلجاجة أن تنظروا بعين الدقة والالتفات إلى عريضتنا التى بعثنا بها إلى جانب حكومتنا العادلة، ولم يقف عند هذا الحد بل تعدى إلى عمل ما لم تصل إلينا معرفته أيضًا.

وفى الرابع من ربيع الآخر، نشر المسيو المذكور إعلانا يطلب فيه جميع الطائفة الإفرنسية والتابعين للراية المذكورة إلى الحضور فى نزل[1] اسات بالإسكندرية، فى هذا اليوم، بقصد تعيين لجنة / نهائية ثابتة تكلف بالدفاع [٢٤٣] عوضًا عن اللجنة الوقتية، فلبى القوم دعوته، وتزاحموا حتى غص بهم المكان، وقامت فيهم الخطباء بين محرض ومثبط ومهيج ومسكن وناصح ومشفق ومحام عن البارون المقدم الذكر، وناقم على أعمال الرئيس والمراقب: قيل: فأثر عمل هذا الزعيم وقومه فى الرئيس أثرًا مؤلمًا وكاد أن يتميز غيظًا لا سيما وقد عادت الجرائد الإنكليزية إلى التلميح بذكر احتمال رجوع البارون إلى خطته، وعدم جزمها بصحة انسحابه، إذ قال صاحب جريدة الإجبسيان غازيت يومئذ فى هذا المعنى ما محصله.

لم يعلم لنا بعد إن كان ثبت وتحقق إبدال البارون دى رنج، بغيره أم لا، غير أن المؤكد عندنا أنه وقع بينه وبين المسيو دى بلنيار المراقب من النشوز والوحشة، ما كان وقع بين المستر فيفيان قنصل جنرال الإنكليز،

---

(١) فندق سات.

والمستر ريفرس ويلسون، الذى كان عاملاً على نظارة المالية أيام الخديو إسماعيل، بل ربما كان أشد وأدهى إذ حملته الوحشة إلى التحزب والتعصب
[٢٤٤] والسعى خلف الإضرار بالمراقب، بكلها[١] فى وسعه/ وأعانه على ذلك أعوان السوء، وبطانة الفساد.. إلى أن قال.. ومن المعلوم أن خطة القنصلية ليست إلا قاصرة على المدافعة عن مصالح بلاده، وتبليغ المخابرات السياسية المتداولة بين الحكومة المصرية، وبين مملكته، خلافًا لوظيفة المراقب فإنها لا تعتبر إلا خطة مصرية تجرى عليها الرزق[٢] من مالها الخاص[٣] بحيث لا يمكن إخراج المراقب منها إلا باختياره أو عندما يشاء، قال: فلو عرف كل من المراقب والقنصل وظيفته، ولازم حدودها واعتصم بعصمتها، لما سمعنا قط بوقوع وحشة أو خلاف بينهما، إلى أن قال: أما الوزارة المصرية فحسبى بها وزارة لا تتزلف لأحد ولا تنقاد خلف مشورة أحد، سوى المراقبين ما داموا على وفاق مكين، وليس هناك ما يدعو إلى الاستعانة بالقناصل ما دام الإخلاص حاصلاً، غير أن للمراقبين حق الاستعانة بالقناصل فيما إذا وقع خلاف بينهما وبين الوزارة
[٢٤٥] وأصبحت قوتهما متهددة، أو على وشك السقوط ا.هـ. فكان اضطراب هاته الجرائد وترددها فى القول بعد ثبوت انسحاب البارون المومى إليه من خطته، داعيًا لاضطراب الرئيس، وضعف عزيمته، ووقوعه فى الخيال وبلبلة البال..

وبينما هو على هذا الحال إذ علا الذفير[٤] وارتفع العثير[٥]، وعاد زعماء العصابة إلى ما كانوا عليه من التألب والتحزب، وذلك لأن أحدهم وهو عبد العال بك أبو حشيش أمير الجند السودانى، قبض على أحد الضباط

---

(١) يقصد بكل ما.
(٢) بمعنى تدفع التكاليف.
(٣) أى ميزانيتها.
(٤) الرائحة النتنة.
(٥) الغبار.

الشراكسة، الذين تحت إمرته، ومعه محضر محرر من لسان كافة أفراد وضباط الجند، ومفاده عدم رضاهم عن أميرهم عبد العال المذكور، وطلبهم العفو من الخديو عما فرط منهم من التظاهر ضد هيئة الحكومة، وإقدامهم على إخراج عبد العال بك من السجن عنوة وأنهم يقدموا[1] أرواحهم ضحية، تحت أقدام سيدهم وخديويهم.: قلت: حدثنى من أثق به، قال: ولقد شاع فى هذا الحين أنه وإن كان الخديو قد أظهر لزعماء العصابة من لين العريكة، وإخلاص الطوية، والبشر والإيناس ما أذهب عنهم الوحشة والانكماش، غير أن حاشيته ورجال ديوانه/ كيوسف باشا شهدى أحد [٢٤٦] يا ورانه، ويوسف باشا كمال رئيس دائرته ومن هم على شاكلتهما، فى الجنس والمشرب ما برحوا مذ تظاهر أولئك الزعماء، يدبرون لهم المكائد، ويعملون على هلاكهم، قالوا لم يعلم وقتئذ هل كان ذلك بإشارة من الخديو؟ أو من الرئيس تخلصًا منهم وانتقامًا فقد كان من يوسف باشا كامل[2] المذكور أن استدعى إليه أحد الضباط الشراكسة، الذين تحت إمرة عبد العال بك المقدم الذكر، وأعطاه عريضة بمعنى ما تقدم وثلاثمائة جنيه ذهبًا، وأوصاه أن يطلب منه جميع الضباط وأفراد الجند أن يوقعوا على العريضة، ولكل من يوقع عليها من الضباط ثلاثة جنيهات ومن الأفراد جنيه واحد، وله هو فى مقابلة ذلك حسن المكانة والولاء: قال: فذهب الضابط، وسعى وسط الجند وعمل ما يمكنه من الحيلة، فخدع بعضهم واستمال إليه البعض الآخر، وكاد أن يفوز برضى الكثير منهم، لولا ما انكشف من خفى سره، وذلك أنه أطلع امباشيا[3] على العريضة، وأعلمه/ بأنه مبعوث من قبل الخديو، ورغب إليه أن يوقع عليها وله فى [٢٤٧] مقابلة توقيعه الجعل المقرر، فخدعه الأمباشى، وأظهر له من الرغبة والميل

(١) صحتها يقدمون.
(٢) مرة يذكره كمال ومرة يذكره كامل.
(٣) رتبة من رتب الجند.

ما حقق فيه الأمل، ثم أسرع فى الحال ودخل على قائمقام الآلاى وحدثه بما سمعه ورآه، فقام القائمقام لساعته، وهجم على ذاك المبعوث، وفتشه فعثر على العريضة وعليها نيف وثلاثون توقيعًا، فقبض عليه، وألقاه فى السجن مكبلًا بالسلاسل، وأخذ فى استنطاقه، فاعترف بأنه مرسل من قبل يوسف باشا كمال، فأرسل القائمقام إلى عبد العال بك، يستقدمه، فحضر وأخذ العريضة ورجع بها إلى رفقائه وقص عليهم الخبر: قال: فتشاوروا فى الأمر واستقر رأيهم على الاجتماع بزعيمهم الأكبر، محمود باشا البارودى فبعثوا إليه يستحضرونه إلى معسكر عابدين، الذى هو دار ندوتهم فحضر وانتظمت حفلتهم، وكان من مشورتهم أن قام البارودى وتوّجه صوب الرئيس مصطفى رياض باشا، وقص عليه الخبر: قال: فتململ الرئيس واضطرب، ولكنه كان يظهر الثبات والتجلد، فكان تجلده داعيًا لتهور
[٢٤٨] البارودى وإصراره / على ما وطن عليه نفسه من الانتقام من يوسف باشا كمال والبطش به، ثم قام لساعته وتقدم إلى الخديو وأعلمه بالخبر فكان من الخديو ما كان من الرئيس، ولكنه أظهر من الغيظ والكدر والسخط على يوسف باشا كمال ما ثبط هم البارودى وأعوانه، وأصدر أمرًا فى الحال بإبعاده وانسحابه من خطته، حيث أقدم على هذا العمل مع علمه بما شمل زعماء العصابة من العفو والرضاء، وغض الطرف عما فرط، فهاجر يوسف باشا المذكور إلى إقطاعاته بالوجه البحرى وخمدت نيران هذه الفتنة بتبعيده عن مصر القاهرة، وكفى الله المؤمنين القتال ا.هـ.

قلت: ولم يكن لهذه الحادثة عند الرئيس مصطفى رياض باشا من الأهمية، ما كان لأمر عزل البارون دى رنج قنصل الفرنسيس، إذ كان يرى أمامه ما سيتقبله من ضعف السلطة وزعزعة المسند فيما لو عاد البارون، وقد كان تحقق له استفحال أمر العاملين على إرجاعه فحمله
[٢٤٩] لحوف على تكليف الخديو، بأن يكتب إلى رئيس / جمهور الفرنسيس بعدم

عودة البارون، واستبداله بآخر، ولما ذاع هذا الخبر تناقله السواد الأعظم من أهالى الإسكندرية ومصر المحروسة، طنطنت به مكاتبو بعض الجرائد الأجنبية، وكان له أثر مؤلم فى قلوب الكثير من الفرنسيس الذين هم على مذهب البارون، وكان من نتائجه ما سيأتى ذكره فى محله إن شاء الله.

وفى الحادي عشر منه أبلغ الميسيو دى لكس قنصل جنرال الروس بمصر المحروسة إلى الخديو، خبر مقتل القيصر إسكندر الثانى[1] فأسف الخديو على فقده، وأظهر علامات الحزن، وبعث إلى القنصل فى ظهر اليوم المذكور مصطفى فهمى باشا ناظر الأمور الخارجية، يقدم إليه من قبل الخديو مراسيم التعزية، والأسف، ثم أرسل تلغرافا إلى ابنه وولى عهده بعاصمة الروس، يعزيه على فقد أبيه القيصر، ويهنيه على ارتقائه أريكة القيصرية، ورفعت فى هذا اليوم قناصل الدول كافة بيارقها منكسة، علامة على الحزن على فقد القيصر المذكور، وفتحت كنائسهم للصلوة[2] على روحه، ودقت/ أجراسها دقًا متقطعا، يحزن طنينه السامعين فرأيت أن أردد [٢٥٠] هنا أسباب مقتل القيصر المذكور، ليكون عبرة لمن اعتبر وتذكرة لمن تذكر.. قال صاحب جريدة الأهرام فى هذا الشأن ما نصه: يتعاقب الليل والنهار متولدين عن الحركة، ونحن بينهما نقوم ونقعد عرضة لحوادثهما، فلا تتحاشى ملكا أو سوقة، ولا تنثر من هذا النظام فريدة فللإنسان أمسه ويومه، وليس له غد فأمسه قد انقضى كأنه لم يكن، ويومه بين داخل فى حكم الأمس وبين داخل فى حكم الغد.. فليس للإنسان إذن إلا عمل

---

(١) القيصر إسكندر الثانى حكم روسيا بين عامى ١٨٥٥ و ١٨٨١ وسمى بالقيصر المحرر بسبب إصلاحاته خاصة ما تعلق منها بتحرير العبيد اغتيل فى سان بطرسبرج فى ١٣ مارس عام ١٨٨١ بينما كان يتأهب لإصدار دستور معتدل.

(٢) يقصد الصلاة.

يعرض على مرسح عين البصيرة[1] لتنبه العقل إلى القضاء إما بقبوله وإما برفده[2]، قال: ومن تأمل فى حوادث عالمه وقدرها قدرها لقى منها أستاذًا فاضلًا ومدبرًا حكيمًا، صادق القول والنظر، فاعتبر بما أتى واستعد لما يأتى، إذ ليس فى العالم من أمر جديد قال: وعليه فلا يستطيع المدقق، أن يقضى جازمًا بأن طائفة النهليست[3] فى الروسية لم يولدها إلا منتصف الجيل
[٢٥١] التاسع عشر، فمن راجع / التاريخ بإمعان وترو علم ما قام من مثل هذه الطوائف فى العالم، وما أتته فى أعمالها من النتائج، وما تولد من غاياتها ومقاصدها من الحوادث، التى لم تكن حادثة ثالث عشر الشهر الجارى، يعنى حادى عشر ربيع الثانى سنة ١٢٩٨ إلا بعضا من كل منها: قال فما الطائفة النهيلية، والحالة هذه إلا من بعض الطوائف المتممة أحكام من سبقها، إلى سن القوانين التى عقد الاختلاف فى شأنها، ولم تحفظ مبادئها إلا بعدم إباحتها سرها وعضد الظروف إياها، وقد تمكن مقامها فى البلاد الروسية أكثر من سواها لأسباب عديدة، وللعالم فى شأن هذه الطائفة مذاهب مختلفة متباينة، لا يحسن القضاء بأفضلها، دون بسطها ببراهينها، وذلك ما لا يسمح به المقام، فنكتفى بأن نشترك مع كل عادل بالقضاء على كل مكيدة غايتها خطف النفوس، لاغتصاب الوقت فى سبيل تأييد مبادئ
[٢٥٢] من يكيد، قال: وإن لنا فى هذا الباب بحثًا مسهبًا، نؤجله إلى سنوح / الفرصة، فهذه الطائفة ظهرت فى مبادئها ناظرة إلى بلادها لقاء الممالك الأوربية، ولكن لم تقابل بين حاضرها وماضيها، فتوجيه نظرها إلى هذا الشأن، يبيح لها حق الشكوى، ولم يبح لها حق العقاب بالوجه الذى وضح، ولكن لا يباح لها الأول، ولا الثانى، ولو نظرت فى المطلب الآخر، وبيان

---

(١) مسرح الحياة.
(٢) صحتها برفضه.
(٣) الفوضويون أو العدميون.

ذلك أن الروسية[1] لم تزل على العموم مقصرة عن خطة الدول الأول العظمى، كفرنسا، وإنجلترا، وألمانيا، بالنسبة إلى الحضارة والتمدن، وقد قيدنا الكلام بالعموم، لنخرج تلك البقعة المتمدنة منها بين بطرسبرج وموسكو، فإن سكانها يساوون سكان الممالك الأخرى، علما وتمدنا وحضارة، ولكن لو قابلنا بين ما كانت عليه فى الزمن السابق، وما أجراه فيها الإمبراطور إسكندر الثانى، لحكمنا بفضلها التقدمى، قال: فمن قرأ تاريخ هذه الدولة علم أن شعوبها كانت تنقسم إلى ثلث[2] رتب، أدناها رتبة العامة، ان هؤلاء عبيدا أرقاء للأشراف / أو الكهنة، وكثيرًا ما كانوا [٢٥٣] يسومونهم الخسف والذلة، ويجورون عليهم، وكانت البلاد بالإجمال خاضعة لن[3] يتصرفون فيها مستبدين عائثين، ومن يوم أن أوجب الإصلاح بطرس الأكبر، لم يقم إمبراطور ليعانى أمر الإصلاح الداخلى، كالإمبراطور إسكندر الثانى، فإنه من يوم تبوأ عرش الإمبراطورية، أخذ يهتم بنسخ قوانين الإمتيازات التى تمسك بها الأشراف كل التمسك، وقد تمكن من الحصول على المرام بعد الاجتهاد والثبات، ثم شرع فى سن القوانين القضائية، وأباح للشعب حرية لم تكن له فيما سلف، وعهد إدارة مالية البلاد إلى أشخاص من أولى الكفاءة، وفتح أبواب التجارة والصناعة، ومد الخطوط الحديدية والأسلاك التلغرافية، وكثيرًا ما نقلت التلغرافات والصحف الإخبارية عن أعماله، ما أوجب له الثناء العام من جميع الشعوب والميل الخاص من شعبه، فتحسنت بانتباهه ونشاطه حالة البلاد تحسنًا، نقلها من مقام أدنى إلى مقام أعلى، فكانت المقابلة بين الحالين / [٢٥٤] ممتطية صهاوات التقدم، ولكنها لم تصل إلى النقطة المرغوب فى مقابلتها

---

(١) يقصد الروسيا.

(٢) الصحيح ثلاث.

(٣) الصحيح لهم.

بالممالك الأخرى، القادة وهذا على ما ذكر هو الذى حمل الطائفة النهيلية، على التعاضد والتكاتف لمضادة الإمبراطور، ثم تطاولوا إلى التهجم على المكائد لإعدامه، ولم ينس أحد منا كم من مرة نصبت هذه الطائفة شراكها للإيقاع بالإمبراطور، وكم من مكيدة أتقنها وأحكمتها.

قال: ولم تنس باريز، ولا مكائد ليفاديا: وموسكو، وسكة بطرس بورج وقصر الشتاء: وسواها ولما لم يكن لأعمالهم من جدوى غير ازدياد التنبه، والالتفات من الحكومة، عمدوا إلى المكيدة الأخيرة، التى لم يتموها إلا متحققين بنجاحها، وقد نقلت إلينا التلغرافات تفصيل حادثة ثالث عشر الشهر الجارى.. يعنى حادى عشر ربيع الثانى: ووصل إلينا نص التلغراف الذى ورد لحضرة المسيو دى لكس قنصل الروسيا الجنرال لدى حكومتنا، فكان محصل ما نقل إلينا بالعموم عن ذلك ما يأتى:

[٢٥٥] توجه الإمبراطور بعد الظهر من يوم الأحد ثالث عشر / شهر مارس إلى تفقد معرض العساكر، وبينما كان عائدًا من زيارته إلى السراى، رُمِى والمركبة سائرة، وكانت الساعة الثانية بعد الظهر بقنبرة[١] أصابت مواطىء المركبة، فقتلت وجرحت بعضا ممن كان بمعيته،أما هو فترك المركبة خيفة إلقاء قنبرة أخرى، ولكن ريثما[٢] ألقى رجليه إلى الأرض رُمى بقنبرة سقطت بين رجليه فخلعتهما إلى الحقوين، فخر مغمى عليه لا يبدى ولا يعيد، ونقل حالاً إلى السراى، ولبث فى النزع إلى الساعة ثلاثة ونصف[٣] فأسلم الروح، ولكن لم يتبع ذلك اضطراب أو قلق بل نودى بولى العهد إمبراطورا باسم إسكندر الثالث.

أما الإمبراطور إسكندر الثانى، فهو نجل الإمبراطور نقولا، ولد فى

---

(١) يعنى قنبلة.

(٢) يقصد حالما.

(٣) صحتها الثالثة والنصف.

سابع عشر أبريل سنة ١٨١٨ من والده المذكور، ووالدته الإمبراطورة شارلوت كريمة فردريك غليوم الثالث ملك بروسيا، وفى سادس عشر أبريل سنة ١٨٤١، تزوج بالأميرة مارى، كريمة لويس الثانى غراندوق دى هس، التى قضت نحبها/ فى ثالث حزيران سنة ١٨٨٠، وفى ثامن عسر [٢٥٦] فبراير سنة ١٨٥٥، خلف والده الإمبراطور نقولا بتبوء عرش الإمبراطورية، وفى ثالث عشر مارس سنة ١٨٨١ قتله النيهليست، وقد خلف ستة أولاد وهم أصحاب السمو الأمراء: إسكندر: وفلديمر: والكسيس: وسيرج: وبولس: والأميرة مارى التى زفت إلى الدوق دوميورك[١] نجل ملكة الإنكليز[٢].

وقال صاحب جريدة صوت الحق: وبذلت الشرطة جهد المجتهدين فى القبض على مرتكبى هذه الجناية العظيمة، وكانوا خمسة: امرأة وأربعة رجال وهم: روساكوف، وسكيالابوف، وكيلياتيش، ومكلوف، وصوفيا بارسوكا: ثم ألقتهم فى السجن مكبلين حتى صدور الحكم عليهم بالقتل شنقًا، فلما أن أعلنوا بحكم القضاة كان من أحدهم روساكوف أن طلب قبل أن يقضى عليه ثلاث شمعات وكسرة من الخبز المبارك وإنجيلا وكان يصلى، ويخلل صلاته بالتدخين بفتيلة التبغ، ولما همّوا أن يشنقوه أخذ يحاول إنقاذ حياته/ من الهلكة، فالتمس عفوًا من القيصر إسكندر الثالث [٢٥٧] وعرض خدمته على الحكومة بكشف الأمور المستترة، فلم يجب إلى طلبه.. أما سكبالابوف فخطر بباله أن يناظر ويحاور، فكتب وملأ بطن عشرين صفحة من كتابه فى الدفاع عن دعواه، ولكن لما كان الوقت بعد الظهر ذهبت منه السكينة، وعرته الرجفة والرعدة.. وكذا صوفيا بارسوكا كتبت

---

(١) الدوق أوف يورك.

(٢) الملكة فيكتوريا.

إلى والدتها أن لا تطلب العفو عن يد أبيها لأنها عرفت أن العفو عنها صار غير ممكن.

وكيلياتيش قد حرر مقالة فى الاكتشافات العلمية، وبعث بها إلى المحكمة، حيث كان محفلها معقودًا قائلًا إنه كان يريد أن يخلد ذكره مخصصًا كل ما يكتسبه بواسطة اختراعاته لتربية أبناء المرتكبين ذنوبًا سياسية.

قال: ومع ذلك فقد جرى قتل هؤلاء المجرمين فى الساحة المعروفة بساحة سيمونى، وقد دعيت بهذا الاسم نسبة إلى فرقة من العسكر المشاة، [٢٥٨] ومن الحرس / المعروف بهذا الاسم، وقد نزل فى جهة منها قال: ونصبت المشانق فى بهرة الجند، ولما كانت الساعة الثامنة قبل الظهر قدم الجلاد، ومعه معاونه، وهو القائم بأعمال مدينة موسكو الكبيرة واسمه فرولوف، وقد شاخ فى الجندية، واشتهر بشرب الخمر والإدمان على السكر، وهو طويل القامة، ضليع البدن ذو لحية شقراء طويلة، عليه لباس أزرق وسخ، وحذاء كبير برجليه، وكان حاملًا بيده صرا داخل منديل، فأتى بالحبال المعدة لشنق المجرمين، وهى من قنب أدق من الخنصر، فعلقت ولما كانت الساعة ثمانية وستة وثلاثون دقيقة[1]، وقعت حركة بين الجمع ثم لمعت حراب جند القوزاق، ثم وفدت المركبات الحاملة المجرمين، وكان فى الأولى روساكوف وسكبالابوف، وفى الثانية صوفيا، وعلى يمينها كيلياتيش، وعلى يسارها مكلوف، وكانوا جالسين فى هذه المركبات وظهورهم إلى الخيل كى يظهروا جليًّا لأعين المتفرجين، ويبالغ فى فضيحتهم، وكانوا محفوفين [٢٥٩] بالقوزاق، وبشرذمة / من جند المشاة تتقدمهم ضاربة بالنفير والبوق.

ولما أخرج المجرمون من السجن، ألبسوهم لباسًا خاصًّا، وعلق فى عنق

(١) صحتها الثامنة وستا وثلاثين دقيقة.

كل منهم رقعة مكتوب عليها هذه الكليمات: قاتل أبيه: وكانت صوفيا بارسوكا مغطاة الرأس بقبع، وفوق ثوبها الحريرى رداء أسود طويل ويداها ممتدتان، ومربوطتان إلى بدنها وساترة طرفى يديها بكف* فحين ذاك اصفرت من روساكوف واسكيالابوف الألوان اصفرار الموت، وقد انحدروا قبل الجميع من المركبة، أما صوفيا فأبدت من السكينة أكثر من الباقين، وكان شعرها مسدولاً على كتفيها تنديه الرياح وتحمله على جبينها، فصفهم الجلاد أمام المشانق وصوت البوق والنفير ساعة تلا فيها كاتب السر الحكم الصادر بقتلهم، ثم أومأ إلى خمسة من الكهنة فصعدوا على درج المشنقة، متوشحين بالملابس القدسية ووقفوا أمام المجرمين يقدمون لهم الصليب، وكلهم قبلوه.

ثم رفع الجند البنادق ونزلت الكهنة وعادوا/ يضربون. [٢٦٤]

تنقطع الرواية عند هذا الحد الذى توجد بعده
فى أصل المخطوط أربع صفحات خالية يبدأ
بعدها فى متابعة أحداث الثورة العرابية

من الهيجان والتحلل بأسباب استفحال أمر زعماء العصابة ما قهقره ورجع به إلى الوراء، بل ذهب بأعماله أدراج الرياح كما سيأتى بيانه فى محله إن شاء الله.

وفى الثامن والعشرين منه، قدم المسيو انجابيه قنصل دولة اليونان بمصر المحروسة إلى الخديو النيشان المعروف بغران كوردون، هدية من ملك

* هو المعروف عند الافرنج بالجوانتى ا.هـ.

اليونان فأطلقت لذلك مدافع من قلعة الجبل، واصطفت الجند بالرحبة التى أمام سراى عابدين، وأجريت المراسم المعتادة فى مثل هذا الاحتفال.

وفى الخامس من جمادى الأول، أتى قنصل جنرال دولة أوستريا إلى سراى عابدين، بموكب حافل وقدم للخديو نيشان سين[1] تيين الذى أهداه له قيصر أوستريا، وبعد نهاية الاحتفال على الطريقة المعتادة عاد القنصل إلى مقره كما أتى.

قلت قد بينا فيما تقدم أن الرئيس مصطفى رياض كان يظن بعد تحقيق خبر تقاعد البارون دى رنج المذكور، وعدم عودته ثانية إلى مصر أنه يصبح خالى القلب، رائق اللب لا تأخذه فى أعماله لومة لائم، ولا يزاحمه فيها
[٢٦٥] مزاحم فبينما هو يقلب الطرف فى بهرة هذه الأمانى، ويعلل النفس بقرب انتجاعها، وبتحين انتفاعها، عاد زعماء العصابة إلى التظاهر بمقترحات أخرى، لم تكن للرئيس فى حساب ذلك، إنهم طلبوا من محمود باشا البارودى: ولا أخالهم يفعلون ذلك إلا وهم على عهد منه: أن لابد من إصلاح شأن الجند، والنظر فى حالة تقدم العسكرية والجماكى[2] والمرتبات، وسن قانون مستوفى، يبين فيه كيفية تقدم العسكرى وواجباته، وعدم تقييد حياته فى الخدمة العسكرية، والنظر إلى أهليته واستحقاقه، وكلفوه بإنجاز هذا الطلب فى أجل تسمى بينهم، وكانوا يجتمعون زمرًا فى دار ندوتهم، ويشاورون فيما يجب اتخاذه من الوسائل الداعية للفوز، فكان من البارودى أن رفع هذه الاقتراحات للرئيس وأعضاء مجلسه، ورغب إليهم فى أن يجلوها محل الأهم من الأمور، ويعيروها جانب الالتفات، كى لا يكون من

---

(١) صحتها سان.

(٢) الجماكى كلمة فارسية جمع جمكية أو جامكية تعنى أصلا المرتب الذى يصرف لشراء الملابس ثم أصبحت فى الاصطلاح التركى تعنى مرتب الجند.

أولئك ما لا تحمد عواقبه، قيل: فتململ الرئيس وأعضاء مجلسه وتشاوروا فى الأمر أيامًا، وهم بين إقدام وإحجام وإقرار وإنكار وتخوف وثبات. لا يهتدون إلى أمر/ من الأمور، لما فى هاته المقترحات من المقاصد [٢٦٦] والأسرار الخفية، وصاروا يماطلون الزعماء تارة بزخرف القول وأخرى بمراقبة الفرص، وهم لا ينفكون عن التجمع والتحزب والتألب، أينما صاروا، وحيثما ساروا، حتى فى الشوارع والطرقات وأمام بيوتهم وخصوصًا أمام دار زعيمهم أحمد عرابى بك.

فلما علم الرئيس بما علمه من مقاصد هؤلاء القوم، ورأى أن لا مناص له ولا خلاص إلا بقبول هذه الاقتراحات، وحسم دواعى هذا التظاهر بالتى، لاسيما وقد كان يسمع من إلحاح البارودى وتهويله، ما هاله وأزعجه، أسرع فى الإقرار عليها، وأمر فتشكلت لجنة من أمرء الجند بديوانهم، وتألفت من جاكى باشا، وستون باشا، وبلوتز باشا، وإسماعيل باشا كامل، وأحمد عرابى بك زعيم العصابة، وبرناردى بك، والمسيو جوار سميت أحد مفتشى الدائرة السنية وغيرهم، وأشار على الخديو فأصدر أمرًا بذلك فسارت هذه اللجنة فى عملها سيرًا حثيثًا، ولم يمض سوى قليل من الزمان حتى قدمت للرئيس تقريرًا بينت فيه لزوم تقليل عدد الجند، وجعل حدًّا للترقى/ فى الدرجات العسكرية تخلصًا من ازدياد الدرجات العسكرية، [٢٦٧] تخلصا من ازدياد عدد المستودعين، وأظهرت أن المستودعين بعد الاستخدام فى كثير من المصالح الملكية، والدواوين العمومية، ما يبلغ ألفًا من الضباط وزيادة: قيل: فتداول الرئيس وأعضاء مجلسه فى هذا المبحث، وفى مبحث زيادة جماكى الضباط فلم يروا بدًّا من الإقرار على الثانى فأقروه وقدمه الرئيس للخديو فصادق عليه أيضًا وهو لم يعد ولم يبد. فترتب على ظهوره أن زادت جماكى الضباط على اختلاف مراتبهم، والجند أيضًا، وكان ذلك داعيًا لاختيالهم بل زادهم تغشمرًا وتكبرًا إذا تطاولت أيديهم إلى العبث

بحقوق أرباب الدواوين، والمصالح الملكية فكان النفر من الجند يقيم معها[1] هو عليه من الجهالة مقام المحامى عن أهله وولده، وبنى قريته، وما يجاورها من الكفور، فيدخل ديوان الحقانية.. مثلاً.. وبيده عريضة لأحد قرابته، وخلفه صاحب العريضة ووالده وبنوه ونسائه[2] وربما صحبه الكثير أيضًا من أهل قريته كأنما يزفون عروسًا.

توجد بعد ذلك ٨ صفحات من المخطوط الأصلى خالية

[٢٧٦] إذ كنا فى قلق زائد، وتخوف من يوم حادثة الجندى، التى كانت فى الثالث من شهر مارس لغاية الآن، وما قلقنا وتخوفنا إلا من حسباننا عدم نجاح هذا التغيير، ولكن الله سلم، وما بقى علينا إلا أن نذكر مفصلات هذه الحادثة العسكرية، فنقول قد كان الرئيس مصطفى رياض باشا ووزرائه[3] موضوع تنديد كل الدول المتمدنة ما عدا دولة الإنكليز مع أنه ماسكًا أزمة زملائه مثل ما كان اللورد بيكانسفيلد ماسكًا أزمة الوزارة الإنكليزية، ولا لزوم لذكر إخلاصه عندما كان يشتغل مع المستر ويلسون، والمسيو دى بلنيار، والمستر بارنج، وغيرهم من الذين خدموا لمصلحة تلك البلاد إلى أن قال وقد ذهب أصحاب الخديو إسماعيل وأنصاره، وكذلك العاملون على إرجاع الأمير عبد الحليم باشا والمؤيدون لدعاويه، أنه إذا طرأ على إدارة مصر أى خلل كان، أو أى فشل لتيسر رجوع أحد الاثنين وارتقائه مسند الخديوية، ولذلك نرى أولئك العاملين، يسعون، وهم واثقون ببلوغ الآمال، قالت: أما الفرنسيس ساكنو الديار المصرية، فقد أمسوا فى

---

(١) يقصد مع ما.
(٢) صحتها نسائه.
(٣) صحتها وزراؤه.

نكد وكمد عظيمين يعضون يد الغيظ من الرئيس مصطفى رياض باشا، إذ لم يظهر ضلعًا ولا ميلاً نحوهم ولذا نراهم الآن قد اتحدوا مع أحد الحزبين السابقى الذكر، وما كفاهم التنديد والتقريع على الرئيس، بل تمادى بهم الغيظ أيضًا إلى الطعن الشديد بالمراقب الفرنسوى، الذى هو من أبناء جلدتهم ادعاء بأنه لم يراع مصلحة أهل بلده، وترتب على ذلك أن انضم البارون دى رنج مع الحزب المقاوم لهيئة الوزارة، ومن زعمائه الذين لم تهمد حركاتهم، ولا تحمد دسائسهم، قال: "ومما زاد المسئلة[1] إشكالاً وخطوبًا ووبالاً حركة الجند، وقيامهم ضد هيئة الحكومة، ولكن قد انكشف عنها الغطاء الآن، وبانت أنها ليست بمؤامرة منتظمة بل إنها عبارة عن حركة فجائية وقعت بأسباب تعلق الجند بأمرائهم الثلاثة، الذين كانوا ألقوا فى السجن لخروجهم عن حدود النظام العسكرى.. إلى أن قال ومع كون هؤلاء الضباط قد قاموا بتعهداتهم للخديو، وأدوا للطاعة حقها ولكن الحزب المقاوم اتخذ هذه الحادثة.

(توقف المخطوط عند هذا الحد).

---

(١) صحتها المسألة.